أكثر
من مجرد حياة

obeikan.com

أكثر من مجرد حياة

رواية

بسمة عبد القادر

الطبعة الأولي .. ديسمبر ٢٠١٤

دار الحلم للنشر والتوزيع

٤ شارع الاشراف - مؤسسة الزكاة - المرج - القاهرة

المدير العام : د.اسلام فتحي

موبايل : ٠١١٤١٨٢٤٥٦٢

dar_elVelm@hotmail.com

تصميم الغلاف : محمد عبد السلام

اخراج داخلي : الحلم للدعاية والاعلان

رقم الإيداع : ٢٠١٤/٢٦٣٨٤

ISBN : ٩٧٨-٩٧٧-٦٤١٢-٩٤-١

إن دار الحلم للنشر والتوزيع، غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وتعبر الآراء الواردة في هذا الكتاب عن آراء المؤلف، ولا تعبر بالضرورة عن آراء الدار .

obeikan.com

بسمة عبد القادر

أكثر من مجرد حياة

obeikan.com

obeikan.com

(1)

أوصدت خلفها الباب فور دخولها إلى القاعة الشاسعة .. بدت خطواتها مثقلة تتلمس على استحياء السجاد ذا الحمرة القاتمة ، متسللة في صمت وسط المقاعد الراقدة بمحاذاة بالغة الدقة ، لم تمض ثوانٍ قليلة إلا وتسارعت خطواتها بعنفوان تقودها إلى المسرح الكبير .. زاغت نظراتها تارة بين الأركان وتارة للسقف المحلى بثريات خلابة تبدو كقصور الأفلام الكارتونية وتارة أخرى بين الشرفات المطلة على المسرح .. كل شئ فى المكان يزهو ويتراقص من شدة البهاء والروعة معلنا أنه أعد خصيصا من أجل هؤلاء ممن يعتنقون مذاهب الجمال بألوانه المختلفة .. تعطشهم لمواكبة الجمال بالنسبة لهم كأداء الصلاة التى يعزفون إليها بنهم لتروي أرواحهم المشتاقة لسكرات السكون والتأمل المنبعث من بين أركان الجمال وعنده تصمت الكلمات ..

لا تكاد تصدق عينيها .. أحقا تقف الآن على أعتاب المسرح الكبير الذي طالما راودها فى أحلام النوم واليقظة , والآن أصبح لها الحق أن تتجول فى ربوعه دون أن يمنعها أحد وتشتم عطره الأسر .. لم تتحمل قدماها وطأة هذا الشلل الفكرى والوجداني الذى خيم عليها .. لم تشعر بنفسها إلا

مستندة ركبتيها على الأرض وعيناها تغرق فى دموعها من فرط السعادة والامتنان .. الامتنان لكل من حملها إلى تلك اللحظات التى ستطبع في سجل حياتها وتلك المشاعر بالانتصار فى معركتها التى لا تنتهى مع عوائق الحياة الكابدة .. تذكرت كم عانت وكم انتظرت طويلا حتى شق لها القدر ثغره ابتهالا .. "كم أنت رائع أيها القدر .. كم أنت حنون معي الآن .. " هكذا تفوهت أفكارها ، وانقطعت مع رنين هاتفها المفاجئ.. التقطت الهاتف بلمح البصر مجيبة برعونة واضحة وعيناها تفيض بدموعها أكثر "أحبك كثيراااا .. كيف لي أن أعبر عن امتناني لك ؟ وكيف لي أن أهبك سعادة هذا العالم لما منحتني تلك الدقائق من البهجة ولما سيسبغه علي هذا المسرح فى الأيام المقبلة .. "

انتفضت فى صمت كأنها تنبهت لجرم ما أفصحت به منذ لحظات وعلى مسامعها لازال الهاتف لثوان قليلة تنصت لما يرد من كلمات ثم انهت مكالمتها بابتسامة خجلة " إلى اللقاء"

طرحت الهاتف جانبا وغاصت فى مشاعرها تحادث نفسها .. " يالغبائي!! كيف لي أن أتجرأ بمشاعري هكذا ؟! .. ماذا سيظن بي حسام بعد ما تفوه به لساني ؟! .. لاشك أنه انصدم من مهاترتى التي لم يعتدها من قبل وإن كنت ناديته حبيبي ملايين المرات فى نفسي فقط .. حسام الذي تدفق له قلبي منذ عرفته .. لم انكر مشاعري تجاهه ولا حتى تشككت بها يوما .. ولكن لا يمكنني الإفصاح بها .. فعلاقتي به قامت على العمل منذ البداية وانجرفت رغما عنا لصداقة عاقلة نسبيا لم نحتسب حدودها

ولكننا أيضا لم نخترق قوانينها الشريفة .. جمعتنا العديد من المواقف المريرة والسعيدة معا .. أكاد أطبع ذلك التاريخ وتلك الساعة واللحظة التى التقيته بها للمرة الأولى .. كنت أتشوق كثيرا للعمل فى الإخراج الذى هو عشقى الأول وكان حسام تميمة سعدي .. لم تكن شركة الدعاية التى يديرها كبيرة وذات شهرة واسعة كغيرها من شركات الدعاية وقت تقدمت بطلب العمل بها .. وكذلك لم أكن أنا أمتلك خبرة أو سمعة فى مجال الإخراج أوأى مجال آخر يتعلق بالفن ، لذلك لم أتطلع للكثير فى خطواتي الأولى ، فقط كان أكبر أمالى أن أستحوذ على إعجاب هذا المدير الشاب ليقبلنى بالعمل لديه في ظل ظروفي المادية التعيسة .. منحني حسام تلك الفرصة لأسد حاجاتي من النفقة على نفسي وأختى التى تقضى مرحلتها الأخيرة بالدراسة .. استشف حسام عشقي للفن منذ الوهلة الأولى ، علمنى الكثير مما حصده من سنوات العمل التى انغمس في أجوائها بكل تفاصيل .. توطدت علاقتنا كثيرا وأغدق علي من الحنان والكرم مالم يحتضن به أخ أخته .. قبل ذلك الحين ما كانت تشغلني تلك الاهتمامات التى تعتري معظم الفتيات من مشاعر الحب والارتباط برجل الأحلام .. كل ما كان يأسرني بقوة هو طموحي الجارف نحو الشهرة واطلاق كبح ابداعاتي التى تخللتني منذ الصغر .. وبعد اللقاء مع بطلي نمت سريعا مشاعر الحب تجاهه والتى لم أقوى على مقاومتها أو تجاهلها .. فقط اقتصرت استطاعتي على الكتمان .. كنت لأسخر من ضَعف المحبين على وأد مشاعرهم لولا سقوطي فى أغلاله..

أجدت الكتمان ببراعة أو هكذا ظننت إن لم تكن نظراتي وشت بما تختلجه نفسي .. يتمتع حسام بالفطنة الكافية ليستنبط ما أحاول إخفاءه وإن كان لم يواجهني يوما أو يُعرب عن مشاعره تجاهى هو الآخر .. ربما خجل مثلي من مشاعر لا يحق له أن يهبها لغير زوجته وربما لأنه لا يحمل لي أكثر من مشاعر الأخ والصديق .. والآن بعد أن خانتني نفسي واستسلمت لانفجار كتمانها بدون أى تحفظات .. ماذا يسعني أن أفعل أو أقول عندما التقيه ؟! .. وماذا إن كنت أريد أن أجارى جرأتي وأتمادى فى مزيدٍ من الإفصاح وهو مِلكٌ لامرأة أخرى .. ما كنت لأتخلى عنه لغيري إن كنت أتمتع بمكانة تلك المرأة التى تحمل اسمه "

تلك الغصة التى اعتلتها بعد المكالمة أفسدت زهوة كل إحساس بالبهجة راودها منذ دقائق .. تحركت على المسرح برشاقة وأداء محتدم فى ملامحها وحركاتها كأنها تؤدي أعظم أدوارها أمام الجماهير ، ظلت تحدث نفسها بخواطرها ومشاعرها المضطربة واستطردت " علي أن أفعل شيئا للتوقف وأصلح ما أفسدته لا يمكنني أن أبعث التعاسة والحيرة بقلب أغلى إنسان عرفته .. عندما ألتقيه سأخبره بأن مشاعري لم تكن حقيقية فقط كانت مشاعر عشوائية تحللت من التعقل .. مجرد هفوة عابرة من فرط الامتنان لما قام به من أجلي بعد أن وهبني الاختبار الأول لأطلق العنان لموهبتي وأثبت جدارتي فى إخراج عملي الأول على هذا المسرح ".

(٢)

على مائدة الطعام أُعدت أصنافا شتى ، كان يصارعها الجوع منذ الصباح فانهالت تتذوق من كل صنف متمتمة بتأوهات توحي بانطباعها عما يجول فى فمها من طعام شهي ، أبدت ثناءها ولا زالت بقايا الطعام تتقلب فى فمها: " كأنها المرة المائة التي تعدين فيها البشاميل وليست المرة الأولى !! يالبراعة أناملك وصفو أنفاسك فى الطبخ يا أختاه .. تستحقين قبلة على هذا الإنجاز "

قامت من مقعدها تدنو من أختها الجالسة على المقعد المجاور تطبع قبلة على وجنتها اليمنى .. ضحكت سمر بقهقهة ناعمة قائلة " حبيبتي.. يبدو أن اليوم تاريخي لي ولك .. أنا بالبشاميل وأنت بعملك الفني المرتقب .. أخبريني .. كيف كان يومك؟ وكيف كانت مقابلتك بمحبوبك المسرح .. هيا أخبريني بتفاصيلك مع الحدث الجلل "

بعد ان عادت لمقعدها تواصل إلتهام قطع اللحم المشوية ، أجابت تساؤلات أختها بتنهيدة عميقة " شعور لا يوصف ياسمر كما لو كنت أغرد فوق أغصان نخيل تعانق السحاب .. أحمد الله أنها حقيقة

obeikan.com

وليست حلما عابثا .. ليتك رأيت التحف المعمارية وتناسق الألوان بقاعة المسرح" ..

ابتسمت سمر مع إيماءة تؤيد الكلمات الأخيرة لأختها " ليتني ما فوت هذا يا سابين .. ومع ذلك فالفرصة لازالت قائمة سأكتفي بالاستمتاع بعروضك المذهلة وسأكون بالتأكيد فى أحد مقاعد المقدمة بين صفوف الجمهور المتعطش"

ربتت سابين بحنان على كف أختها الملقى على المنضدة لتخبرها بمفاجأتها لها " جلبت لك هدية بمناسبة هذا الحدث "

"حقا !! " .. شهقت سمر بلهفة واستطردت " هيا أخبريني ما هي؟ "

ابتسمت سابين بمكر وأجابت بلهجة لا مبالية " لم العجلة ؟ .. ستريها عندما أفيق من قيلولتي بعد مشقة هذا اليوم الحافل "

بصوت غاضب وعبوث ممتزج بالمزاح جال بوجهها وبذات نظرة المكر التى تتشاركها مع أختها " بالسخافتك .. لا أريدها إذن .. وبالمقابل لن أخبرك عما ورد إليك قبل مجيئك بساعة "

طربت ملامح سابين كأنها تعلم ما تتماكر به أختها ردت بأسلوب المنتصر بأحد جولات المناظرات العامة " لابد أنه كتيب الخواطر الخاص بمعتز .. أخيرا أرسلها .. راسلني منذ أيام ليخبرني أنها ستكون بين يدي فى القريب العاجل بواسطة أحد أصدقائه .. ومنذ ذلك وأنا أتشوق لقرائتها "

اندهشت سمر لسماع ما باحت به مما دفعها للإعراب عن تساؤل تعلق بذهنها فورا "وما يفيدك من تلك الخواطر !؟ "

أجابت سابين بسخرية " أتاني بالمنام أن مع كل خاطرة أقرأها يأتيني جِني الأفكار ليطلعني على الأسرار الفنية للعظماء"

صفعتها سمر بنظرة استنكار ، فعدلت سابين من جلستها واستطردت بنبرة جدية هذه المرة حتى لا تثير غضب أختها " حسنا ياصغيرة سأخبرك أهميتها .. راودتنى فكرة أن أستعين بتلك الخواطر فى تجربة الأداء التى من المفترض أن أقيمها بعد أيام لاختبار المواهب الجديدة التى سأشكل منها فرقتي المسرحية "

بايماءةٍ تنم عن الاستيعاب حركت سمر رأسها ثم تفوهت بتساؤلٍ جديد "جيد .. ولكن كيف سيتم ذلك؟ " .

أجابت سابين لتوضيح الفكرة "أختاه .. علي أن أختار مواهب حقيقية فالأمر بالنسبة لي ليس عبث فكما تعلمين حسام خاض مغامرة كبيرة لاقناع صاحب الشركة على انتاج العمل الأول لمخرجة جديدة .. وهذا يجبرني على الالتزام بتحقيق نجاح مرضي لصاحب المال وبأقل التكاليف الممكنة وهذا ما أحاول أن أحققه بفكرتي هذه "

رمقتها سمر بنظرات تخوف وتلهف لتفسير الأمر بشكل أكثر ايضاحا لها .. التقطت هذه النظرات مواصلة تفسير خطتها وبثقة أكبر " خلال تجربة الأداء سأطبع كل خاطرة على حده وأوزعها على المتقدمين وعلى كل منهم أن يحاول اختلاق المشهد الملائم لما استنبطه من فكرة الخاطرة، وبذلك استطيع استكشاف المواهب التى أتطلع لضمها .. فما رأيك ؟ "

كان رد سمر محفزا " رااائعة طبعا .. أنت مدينة لجني أفكارك ياعزيزتي"

obeikan.com

أعقبت عبارة سمر الأخيرة ضحكة متعانقة للأختان ، أتبعها رنين الهاتف.. أسرعت سمر لالتقاط السماعة مجيبة " أمي .. اشتقت إليكِ كثيرا .. كيف أبي؟ .. لا تقلقي أنا أنجب من أنجبت .. دراستي على ما يرام .. نعم إنها بخير حال .. ها هي أمامي على طاولة الطعام التهمت كل الأصناف وأخشى أن تتحلى بي فى النهاية ، شهيتها اليوم تتسع لفيل.. حسنا يا أمي سأجلبها لمحادثتك "

كانت نظراتها ترتكز على عينان سابين التى أنصتت جيدا للمكالمة بابتسامات تتباين مع دعابات أختها الكلامية .. استجابت لإشارة سمر للقدوم لمهاتفة والدتها التى لم ترها منذ أسابيع .. " ألو .. لم البكاء يا حبيبة في كل مرة ينتابك نفس التصرف هذا يزعجني كثيرا يا أمي " على الطرف المقابل ازدادت حدة البكاء وبكلمات متقطعة " لا أتمالك نفسي كلما استمعت لصوتك .. تعلمين أني أفتقدك كثيرا .. وأخشى عليك يا ابنتي .. لطالما بحثت عن الأصعب ولهثت خلفه "

تغلغلت موجة من الخوف قلب سابين فانحدر صوتها مجيبة " لا داعي للقلق يا أمي .. قد تكوني محقة ولكن لم لا أتعب حتى أحقق ما أتمناه.. الحياة أكثر صعوبة من أن نجاريها بطاقتنا العادية .. علينا دائما أن نخلق لأنفسنا أضعاف هذه الطاقة وإلا بقينا عالقين فى القاع للأبد .. " قاطعتها الأم وقد زال عنها البكاء قليلا وكأنها لم تقنع بما سمعت " حسنا ياسابين أعلم أنه من الهين أن أدفع أطنانا من الحجر على أن أدفع تلك الأفكار من رأسك .. تمتلكين عناد والدك وكأني أتحدث إليه رغم انه

يستسلم فى كثير من الأحيان على عكسك أنت "
ابتسمت سابين وتساءلت "أين أبي الآن .. اشتقت لسماع صوته .. فى المرة الأخيرة لزيارتكم لم يجالسني سوى دقائق ؟"
أجابت الأم " خرج للمقهى لمجالسة أصدقائه الشيوخ " ..
تبادلت السماعة إلى يدها الأخرى و بملامح اندهاش عبرت عن أسفها " ليس من عادته أن يذهب للمقهى فى هذا الوقت المبكر .. هل أهمه خطب ما ؟ "
أوضحت الأم " لا شئ إلا أن عمله لم يعد مثلما كان فى السابق فأحوال البلد فى تدني كما تعلمين والطلب على المستورد أضر بالحرفيين أمثال والدك .. على كل حال انت تحملتِ الكثير ورفعتِ عن كاهله أعباء مصروفاتك وأختك ورغم اننا نتألم لاقامتكم بعيدا عنا إلا أننا نتحمل ما يبهج قلبكما .. لا تبخلا بطمأنتي كلما سنحت لكما الفرصة لذلك "
" أمي انها فقط عشرات قليلة فوق المائة كيلو التى تفصلنا .. إن شئت يمكننا الإقامة سويا هنا إن وافق والدي رغم أنه أبدى اعتراضه مرارا على الأمر وأقدر وجهة نظره .. أما أنا فاعلم أن زياراتي قليلة ولكن كما تعلمين لا أتمكن من ترك العمل كثيرا وإلا ضاع مني وأنا فى أمس الحاجة إليه .. دعواتكما لنا تكفينا يا أماه .. فقط أخبري والدي باشتياقي لصوته عندما يعود .. قبلاتي لكما "
وضعت سماعة الهاتف برفق يلتحفها الأسى .. أخذت تجمع المائدة برفقة أختها التى سبقتها .. بدا عليهما بعض من وجع الاشتياق ينتابه

صمت يأن .. حاولت سمر أن تزيل من وطأته باستنهاض الحديث مجددا " أين هديتي التى طال انتظارها؟ "

ابتسمت سابين مجيبة " كأني نسيتها .. سأجلبها حالا وإلا لن أتخلص من إلحاحك المستمر "

تحركت إلى غرفتها وعادت تحمل علبة صغيرة مزينة ومقيدة بشريط وردي " تفضلي هديتك يا صغيرة"

التقطتها سمر على عجل واحلت شريط العلبة لتستخرج منها دلاية من الفضة يتدلى منها قلب مشقوق فلقتين بداخله صورة والدتها .. أعربت سمر عن سعادتها بالهدية "ما أروعك يا أختاه وما أغلى الهدية"

احتضنت سابين بحرارة ثم أصدرت وعد تشككت منه أختها "عندما أتخرج سأنهال عليكي بالهدايا .. مهما علا شأنك لن تستطيعي مقابلتها بالمثل " ضحكت سابين من مرحها الذى لا يتوقف إلا فى بعض حالات الغضب .. رأتها تفتح أحد الأدراج لتستخرج كتيبا صغيرا علمت انه الخواطر .. تناولته من يدها بابتسامة عريضة مقلبة فى صفحاته قائلة "ممتنة لكرمك العظيم آنسة لوبرون "

اعتادت أن تلقبها باسم الرسامة التشكيلية (فيغ لوبرون) لولعها بالفن الكلاسيكي ولموهبتها الأسرة فى الرسم وهذا ما دفعها للالتحاق بكلية الفنون الجميلة بعد دعم سابين وتشجيع والدهما .. أنهكها التعب فأنهارت على سريرها لتغوص فى نوم عميق.

(٣)

غازلها النوم لساعات حتى انقضى السواد الأول من الليل .. بادرها تسبيح الكروان عندما فتحت عيناها .. ظلت راقدة على فراشها تعبث بأفكارها المزدحمة حتى تنبهت بأن هناك الكثير من المهام التي عليها إتمامها قبل اختبارات الأداء ، انتفضت استعدادا للعمل .. بدأت بالوضوء لتشعر ببعض السكينة تجري فى أوصالها هكذا اعتادت كلما تخللها القلق .. هدأت أفكارها مع إعداد فنجانٍ من القهوة .. عادت مرة أخرى لفراشها بصحبة القهوة وخواطر معتز .. بأصابعٍ عشوائية تجولت بين صفحات الكتاب ومع تلك التقلبات فاح عطر عنبري لاذع .. ارتشفته بعمق بين حنايا أنفها وعينان مغلقتان .. تهيأت لدعوة عقلها لجلسة مع الجدية لملاقاة الكلمات الأولى بالكتيب .. بعض من عبارات الثناء والشكر لكل من مروا بحياة الكاتب مع توقيعٍ أنيق يليق بكبريائه .. إنها النسخة الأولى المهداة لها بعد النشر كما وعدها معتز منذ سنوات .. كانت تعشق كتاباته كثيرا وكانت من أحرص الأصدقاء على متابعتها .. عند القصيدة الأولى رقت مشاعرها وسكنت أوصالها .

لازال فى قلبي ..

obeikan.com

بريق عالق من ثنايا عيناكِ ..

يبدد روحي ..

بالخريف وبالشتاءِ ..

وحيد أنا معكِ وبعدك ..

أسير صمتي .. وقيد حرماني ..

قابض وتري ..

إن ما ضم ذكراكِ ..

من بين همساتي اذكريني ..

واعذريني ..

ما كان لي أن أقترب ..

من لهب خُيلاءِ ..

وأنا سجين مخاوفي ..

ككسرة ثلج أندمل ..

إن فارقتني دروب نجواكِ .

كأنها ليست المرة الأولى التى تقرأ فيها تلك الكلمات ، جالت بذاكرتها قليلا لتجلب مشاهد من الماضي .. هناك فى مكتبة الجامعة حينما رافقها معتز لإعداد مشروع التخرج الخاص بها كانت متوترة كثيرا ومشتتة بين براثن الموسوعات والتراجم .. كان همها أن تحظى بثناء أساتذتها مع شرف المراتب الأولى للتخرج .. في هذا اليوم عاونها معتز بشكل كبير حتى أنه تخلى عن مهامه الخاصة .. فقط تفرغ لرغباتها ، وإن

obeikan.com

كانت مرافقته لا تنم عن رغبة حقيقية منها وإنما اعتادت أن تحافظ على مشاعره وإن قابلها هذا بنظرات ارتياب من بعض زملائهما .. رغم أن معتز ينتابه الخجل بدرجة كبيرة إلا انها لم تعلم من أين أتت له الشجاعة فى ذلك اليوم ليخبرها أنه يحبها وأن ما احتضن إعجابها من خواطر كُتبت لها .. كان قدر ذهولها بتصريحاته كفيل بأن يعتق اهتمامها بالمشروع .. تلك المرة لم تجد بُد من إيلامه باعترافها انه لن يكون لها أكثر من صديق ، لم يُبدِ اعتراضه عما أقرت به ، مما دعاها للاندهاش بصورة أكبر .. أخبرها بعلمه بحقيقة مشاعرها وأنه لم ينتظر منها ما هو أكثر من سعادته برفتها وإن اختلفت مشاعره تجاهها .. كان اعترافه قرار أخير قبل أن يخبرها بنيته المسبقة لمغادرة الوطن بمجرد انهاء اختباراته .. ورغم مشاعر الأسى التى اعتلتها بخبر سفره إلا انها اختلطت بالارتياح أيضا لأنه جنبها الإحساس بإيلامه أو إهانته ولأن رفقته فى الفترة الأخيرة غلفتها ببعض العبء من محاولات مجاراته ورد مجاملاته المستمرة لها ..

كان معتز رقيقا وهادئا جدا لدرجة أنها لم تتحمل ولو لمرة واحدة أن تصد كلماته العذبة أو طباعه الطيبة وخاصة مع ندرة صداقاته وإيثاره للعزلة إلا معها .. لم يحترم أحد خجله وكبريائه سواها .. كانت كريمة جدا معه فى الوقت الذى كان فيه نبيلا معها .. تذكرت عند سفره ترك لها رسالة فى بريدها الالكتروني يشكرها على اللحظات التى منحتها له وعن مشروعه بنشر كتيب يحمل ما خطه من قصائد مع وعده بأن

أول مطبوعاته سيكون لها .. وبالفعل لم يحنث بوعده معها فكانت ثان رسائله لها تعرب عن وفائه بالوعد .. مما دفعها لإجابة رسائله للمرة الأولى بالتهنئة والشكر .. كانت تتجنب محادثته كما آثرها هو أيضا .. كأن لسان حالهما لن نعود للماضي .. عاشق منغلق على ذاته.. وامرأة تؤثر نجاحها على الاعتراف بمشاعر رجل أنفاسه كلمات .. لم تتخيل أبدا نفسها كامرأة عادية تقضى مراهقتها فى انتظار طارق الحب ومن ثم العثور على زوج المستقبل الذى من وجهة نظرها سيقتل أي رؤية لها بالطموح العملي .. كيف لامرأة مثلها أن تقيد عمرها بخدمة رجل ورعاية أطفال ثم ينتهى بها القطار إلى لا شئ تحصده لنفسها !!

الزواج يعنى لها أعباء اضافية وانشغال عن هدفها المأمول .. لم لا تحظى بحياة غير الآخرين!! .. لم على الجميع أن يلعبوا نفس الأدوار فى مسرح الحياة !! .. كان إيمانها يبعث العجب لدى الآخرين ممن حولها وكأن كل البشر يجب أن يدوروا مع نفس الطاحون .. أليس من حق البعض أن ينعم بمغامرة التحرر ويترك روحه تتأرجح مع العواصف الصاعدة والهابطة ؟! .. ما تؤمن به حقا ان الانسان في تلك الحياة مستكشف مغامر .. معلموه صغار المخلوقات وحكماؤه أعناق الجبال وأعماق المحيطات كيف يلتقى بهم وهو ينغلق فى قيد الواجبات الأسرية التى خنق نفسه بداخلها؟! .. هي لم تتنكر لأهمية الأسرة لكل فرد ولكنها متمردة على قيودها الملتصقة التى تحجب عنها السعي لما وراء الواقع .

ظلت سابين لساعات تتجول مع أفكارها وعيناها لازالتا تلتصقان بين

حروف القصيدة التى تيقنت من كونها رسالة كُتبت لها خصيصا وقبل ان يساورها شك أيقظتها نغمة الرسائل بهاتفها الخلوي .. لتتصفح ما هاتفتها به خواطرها "سابين إن كنت قرأت القصيدة فهي كانت كلماتي الأخيرة لكِ قبل أن أتعهد بألا أذكرك بحرفٍ بعد فى كتاباتي .. "

obeikan.com

obeikan.com

(٤)

الشوارع مكتظة ككل صباح .. حالة من الهياج الحركي تنتاب الناس خلال رحلتهم اليومية إلى العمل ، تلاحقهم عقارب الساعة كأنهم يعُدُّون الأنفاس .. امتطت أحد عربات الأجرة بمهارة لاعبي الأكروبات.. أخذت مكانها سريعا بين أكتاف الراكبين و انطلقت العربة تتحسس الطريق بعشوائية تجتاز باقي العربات من حولها مع تأرجح الركاب يمنة ويسرة مع كل خطوة بهلوانية يقودها السائق .. " ماهر حقا .. لكن حتى اللاعب الماهر له كبوة أتمنى ألا تكون فى تلك الدقائق التى تقلنى فيها فرسته الحمراء كما أطلق عليها " محدثة نفسها مع نظرات متقلبة مع الاتجاهات وآذان متسعة لصرخات وشهقات وتمتمات متداخلة من هؤلاء المشاركين لها في مقاعد العربة .. أخيرا تنفست الصعداء بعد ايقافها للسائق المتمرس .. قفزت من العربة بحركة لا تقل مرونة عن سابقتها فى الصعود .. أصبحت تمتلك الموهبة الحركية لامتطاء العربات المزدحمة دون أن تشعر بتذمر أو عناء .. تسارعت نبضات قلبها كلما اقتربت من محل العمل ارتبكت خواطرها مجددا " كيف أواجهه!؟ أتمنى لو حُذفت مكالمتى الأخيرة من رأس حسام .. يارب .. يارب ..

أخرجني من تلك الورطة " تباطئت خطواتها مع اجتياز الممر المنتهى بمكتب حسام .. توقفت للحظات تهندم ملابسها مستجمعة أنفاسها التى تخلت عنها منذ دقائق .. طرقت الباب و دخلت ترتسم على وجهها ابتسامة خفيفة .. قابلتها السكرتيرة " ها قد أتيت يا سابين .. كنا بانتظارك "

تراجعت الفتاة مرتدة إلى مكتب حسام مرة أخرى بعد أن كادت تتأهب للمغادرة .. صعقت سابين عندما رأت أن الجالس على المكتب ليس حسام .. إنها امرأة حسناء تراها للمرة الأولى .. امرأة تتحلى بالبشاشة على وجهها .. يكسو رأسها شعرا ذهبيا يتدلى على كتفيها بمرونة .. انتبهت سابين مع استطراد السكرتيرة لكلماتها الموجهة للمرأة الفاتنة " مدام حنان هذه سابين التى حدثتك عنها منذ لحظات .. "

وبعد أن تركزت الأنظار إلي سابين " أقدم لك السيدة حنان ربة العمل وقرينة السيد حسام"

لم تتمكن سابين من حجب الصدمة التى تملكتها .. مع انصراف السكرتيرة جلست هي أمام المدير الجديد كما ترى الآن .. بصوت تشبعت منه الثقة تفوهت المرأة "سمعت الكثير عنك .. وتشوقت للقائك .. لا أعلم إن كنتِ على معرفة مسبقة بأني أمتلك هذا المكان .. فيما يبدو لي ان هناك علاقة طيبة على وشك أن تنشأ بيننا .. فما رأيك ؟ "

استشعرت سابين بعض الارتياح الممتزج بنكهة من الحرج .. وآن لها أن تنطق لتعلن عن نفسها بعد كل هذا الصمت " أتمنى ذلك بكل تأكيد ..

لا أنكر تفاجئت بعض الشئ لمعرفة أنك مالكة الشركة ، لم يخبرني حسام من قبل عن هوية المالك وسعدت كثيرا أنها امرأة"

بدت كمنافقي الحفلة الذين يشيدون بصاحب الوليمة التي أشبعت رمق بطونهم المتعطشة .. تعلم انها تكذب ومع ذلك حاولت بقدر استطاعتها أن تتمالك سخطها واحتقان مشاعرها الغاضبة ليس فقط لأنها لم تر حسام كما توقعت ولكن ما زاد من حنقها هو ما تمتلكه تلك المرأة من ملامح تفوقت عليها بجدارة إذا قورنت بعيني حبيبها.. ماذا تمتلك هي جانب تلك الفاتنة الثرية!؟ .. شعرت ببعض نوبات الضعف تتقاذفها مع مواصلة المرأة فى استعراض محاسنها كما بدا لها "حسام اضطر للسفر هذا الصباح لأمر طارئ وأخبرني أنك على وشك المضي بالمسرحية لذا طلب مني أن أقوم بمهامه حتى يعود .. لذلك سأطلب منك تقريرا شاملا بتفاصيل مشروعك واستعدادك له حتى أواكب العمل.. اتفقنا؟ "

انتابها القلق من تلك النبرة الجدية الواثقة التى تحدثت بها الفاتنة .. وبين خواطرها تساؤل موحش .. كيف لحسام أن يتركها فى هذا المأزق!؟.. بالتأكيد ما كان منها سوى الرضوخ لكل ما تشير إليه ربة العمل فماذا عساها أن تفعل غير أن عليها أن تعبر أي خندق يفصلها عن حُلمها " اتفقنا ياسيدتي .. غدا يكون التقرير بين يديك"

ابتسمت حنان بارتياح المالك الذي اطبق يديه على زمام مملكته .. نهضت فجأة لتتجول بنصف دائرة حول المكتب جالسة باستقامة

الأميرات على المقعد المقابل لسابين "لا داعي لتلك الرسميات بيننا يمكنك دعوتي باسمي .. كما أريد منك طلب آخر إن لم يكن لديك مانع.. سأرافقك فى اختبارات الأداء"

لم تمتعض سابين لطلب حنان بالحضور لاختبارات الأداء ولكن ما أولى اندهاشها بشكل كبير هو التودد المقنَّع الذي تغازلها به .. انتابها الشك من تصرفات غريمتها .. أبلغت رقتها كل هذا القدر حقا أم أنها تحمل فى طياتها نوايا شيطانية؟! .. ما تتفوه به عيني تلك المرأة لا يتطابق مع كلماتها في أي ملمح أشارت به .. لا شك انها شديدة الدهاء وهذا ما أثار قلقها منذ رأتها .. وما دفعها لمحاولة انهاء اللقاء بأقرب فرصة لالتقاط بعض الأنفاس بشكل سليم "بالتأكيد يسعدني انضمامك ياحنان .. والآن اسمحي لي بالمغادرة .. لدي الكثير لأقوم به" أجابت سابين بابتسامة عريضة بحجم المجاهدة التى توارى بها مشاعر الخوف والغضب التى التحفتها خلال تلك الدقائق الطويلة مع تلك المرأة .. نهضت سابين ببطء من مقعدها ممتدة بيدها لحنان ثم أردفت " شرفت بلقائك .. إنه لمن دواعي سروري"

ارتفعت نظرات حنان بسخرية إلى عيني سابين كالتي تنهرها على تصرفها الغير لائق بالنسبة لها .. مدت يدها هي الأخرى لمبادلة السلام بشكل لا يقلل من لباقتها ورقتها التى أصرت أن تحملها معها حتى النهاية " حسنا يا سابين كما تشائين .. لكن لدي ما أخبرك به .. أنا امرأة عملية أعشق أن تكتمل مشاريعي بنجاح حتى النهاية .. وهذا ما

سأعتمد عليكِ لتحقيقه"

بعد أن سحبت سابين يدها أومأت رأسها موافَقةً لما بدر من كلمات قابلتها بلهجة جادة وواثقة هذه المرة وكأنها وضعت قدمها أخيرا على درجة ثابتة بسلمٍ متحرك "تطلعاتك لا تقل حرصا عن إصراري على نجاحي أيضا .. سأبذل ما بوسعي لتحقيق مآربنا معا .. إلى اللقاء"

انطلقت الفتاة مغادرة الغرفة ولدى الباب التصقت عيناها لثوان بعيني حنان التى لمحتها تترصد حركتها بصورة مباشرة .. أومأت المالكة رأسها لتحية الفتاة قبل أن تغلق الباب خلفها ثم ارتمت على مقعدها بسكون بارد التقطت القلم بين أصابعها وأغمضت عينيها فى حالة من حالات تدليل النفس . ..

تنفست سابين الصعداء بعمق بعد مغادرة المكتب كالتي كانت تحمل حقيبة ثقيلة طرحتها للتو على الأرض .. بقدر الاختناق الذى صارعها منذ لحظات بقدر ما أطبقت قبضتا يديها بعنف دفين من شدة الانفعال .. "أين انت أيها المخادع؟ ألا تعلم قدر اشتياقي إليك؟! كيف تجرؤ على السفر دون إخباري؟!" التقطت هاتفها لتفجر فيه بركانها المحتقن من مشاعر الحرمان التى تعتصرها .. ولكن باءت محاولاتها المتكررة بالفشل بلا إجابة مما زاد توترها وتساؤلاتها المريبة حول غيابه المفاجئ .. ماذا عساها أن تفعل الآن إلا أن تباشر عملها لعل يمنحها القدر فرصة أخرى فى وقت آخر .

obeikan.com

(٥)

من وطأة حرارة الصيف الملتهبة .. افترشت بجسدها أرضية الشرفة تلتقط النسمات العابرة خارج جدران منزلها .. أوسدت رأسها على كفيها معلقة نظراتها إلى البدر المكلل بنجمات السماء .. أعجزها شلل التفكير بأي شئ سوى حسام .. تزهرها الابتسامة كلما تذكرت نوادره اللطيفة معها ، طالما كان لها حائط فولاذي تستند عليه في أغلب شؤونها وتطمئن فى وجوده .. وتارة أخرى يغتالها العبوس عندما تصحو من ذكرياتها الجميلة على صاعقة أختفائه المفاجئ .. صارعتها الأفكار عما حدث بينهما في السابق لعلها تكتشف السبب وراء مغادرته أو لعلها تختلق له أحد الأعذار لتجاهله مكالماتها ورسائلها المتكررة له .. تسللت الدموع من عينيها بانطلاقة المتحررين .. ولم لا؟! .. فالآن هي جليسة خلوتها .. بعيدة عن تطفلات الآخرين .. وفي عمق انغماسها بتلك الأفكار تخللتها رعشة ارتجفت لها أوصالها رغم هذا الحر الشديد ، لم تهدأ إلا برؤية وجه سمر المرتعد من أثر الدهشة فور اطلاعها على مشهد أختها المزري.. صريعةً لإحدى نوبات ضعفها ..

"ما بك ياسابين؟!" تساءلت بنبرة مرتجفة تنم عن شفقة متسللة خلف

حروف تساؤلاتها .. ولمَّا لم تحصل على إجابة تمددت على الأرض هي الأخرى مستندة بظهرها على الحائط بجانب أختها ..

لم تحاول سابين إخفاء دموعها أو التوقف عنها ، فقط استجمعت الكلمات في فمها للإفصاح عما يختنق بداخلها .. "سافر حسام ولا أعلم إلى أين أو لماذا .. حتى مكالماتي لم يجب عليها .. أليس هذا مثيرا للجنون؟!" ..

اتكأت سمر بجسدها إلى اليمين .. بدا الاندهاش واضحا بنظراتها المتقلبة لأختها المفجوعة كما لم ترها من قبل بتلك الحالة البائسة .. استقبلت إجابة سابين بفم مفتوح على مصراعيه كالتى أرادت أن تطلق صرخة تراجعت عنها فى لحظتها .. سكن انفعالها وخيم الصمت على الفتاتين للحظات ..

استطردت سابين .. "تراه تخلى عني بعد أن صرحت بحبي له ؟! .. لا أدري لم فعلت ذلك لعلني لم أقوى على الكتمان أكثر من ذلك .. لكنني بالتأكيد أخطأت وندمت على فعلتي أشد الندم "

انفجرت تأوهاتها ثانية فى هيستريا من البكاء .. تسللت معها قطرات خجولة من عيني سمر .. وهذه المرة رافقها انبعاث صوتها المختنق مع تساؤل جديد "وكيف حدث ذلك أنت لم تلتقيه منذ أيام؟!"

أجابت سابين بيأس واستسلام "عندما كنت بالمسرح .. كانت مكالمتي الأخيرة معه وأخبرته أني أحبه .. لم يُعلق بشئ .. فقط صمت لثوان ثم أخبرني أنه سعيدا جدا لأجلي ولأجل طموحي الموشك على التحليق فى

عالم الشهرة .. .. أظن أن هذا سبب إختفائه .. لعله شعر بالحرج من مواجهتي حتى لا يضطر لجرح مشاعري بعدم مبادلته لهذا الحب .."
قاطعتها سمر بتعقل "أو لعله يحبك ولا يمتلك جرأة الإفصاح مثلما فعلت أنت .. فآثر الهرب لبعض الوقت .. ليس الجميع يمتلك جرأة الاعتراف بالحب .. ولو امتلكوها لاكتملت البدايات قبل أن تنتهي .. لم يكن الاعتراف خطأك ياعزيزتي فلا تكبدي نفسك مشقة التأنيب .."
هدأت الفتاة المفجوعة لتتدبر ما كشفت عنه حكمة أختها الصغيرة .. قامت من جلستها بوهن المسنين استندت بمرفقيها على سور الشرفة المطلة على الطريق .. تبعتها سمر على الفور .. أخذتا تغرقان فى عالم الأفكار والحيرة أحدهما معلقة عينيها على خيط الضوء المنبعث من أحد أعمدة الإنارة والأخري تتجول بعينيها مع حركة الشارع ..
تفوهت سابين معارضة وجهة النظر الأخيرة التي طرحتها أختها لتعلن عن عدم قناعتها "سمر .. أنت لم تري زوجته الفاتنة .. إنها امرأة بكل ما يحمله الوصف من معان .. لن تقنعيني بأنه يحبني دونها .. هذا غير معقول يا أختي"
حركت سمر رأسها يمنة ويسرة لتستنكر ما غزا مسامعها "يبدو لي أن معرفتك بالحب كمعرفتك بإعداد المحشي .. تكوين كلاهما لم يطأ عتبة استيعابك بعد .. قد تكون زوجته كما تقولين تبلغ هذا القدر الفائق من الجمال ولكن هذا ليس السبب الرئيسي للحب .. ولا عجب إن لم تحتل قلبه يوما .. هناك عشرات الأسباب لارتباط رجل بمن مثلها ليس

من ضمنها الحب .. العجب يا أختاه هو ما تفكرين به .. فلتخبريني إن لم يكن يحبك حقا .. لم فعل كل ما فعله لأجلك؟!"

بدت سمر واثقة من تفسيرها للحدث كالتي اطلعت على صندوق الأسرار الخاص بحسام .. في حين تشككت سابين من أفكارها التي طرحتها بتردد "لا يعني اهتمامه ومساعدته لي بأنه يحبني .. ما يربطني به هو العمل وإن دل اهتمامه بنجاحي على شئ فبالتأكيد يعني حرصه على نجاحه وطموحه مثلي تماما .. أعتقد أنه سبب كاف لجعله يلتحف ثوب النبلاء معي طوال الفترة السابقة .. هكذا يفعل البعض في هذا العصر حرصا على مصلحتهم .. وها هو الآن أثبت ذلك بتخليه عني ليدفع بزوجته فى مواجهتي قاطعا أمامي أي هاجس يجرفني لمحاولة التقرب إليه لأبعد من علاقة عمل "

حلقت رياح عدم القناعة برأس سمر لتبدو جلية في طرحها فكرة جديدة أودعتها أختها الحائرة "أختي .. لا أدري من أين لك بكل تلك الهواجس؟! .. أظنك تبالغين فى ظلم الرجل .. عليكي أن تقتنعي بأنه لا علاقة لك باختفاؤه .. هنالك العديد من الأسباب لسفره ولكن ما يقلقني حقا هو عدم إجابته لمكالماتك ورسائلك وإن كنت أبررها بالهروب كما ذكرت من قبل .. اسمعي .. لم لا تنتشلين نفسك من تلك الحيرة وتسألي عنه أحد أصدقائه أو أقاربه؟ .. بالتأكيد سيكون لديهم إجابة"

بدت فكرة ممتازة لسابين .. لا تدري كيف لم تفكر بها من قبل .. أبلغ بها شلل التفكير للا شئ سوى حد الخضوع لفكرة تأنيب الذات؟! ..

ابتسمت بارتياح مؤيدة رأي أختها "حسنا يا حبيبتي سأفعل ذلك غدا .. ليس أمامي سبيل آخر لمعرفة مكانه "

أحاطتها بذراعها ممتنة لها استيعابها مشاعرها المحتضرة ومحاولتها استعادة الطمأنينة والثقة التي فرت من بين يديها بمجرد رؤية تلك المرأة فى الصباح .. تنبهت سابين فجأة للهدوء المخيف بالشارع .. تطلعت إلى عقارب الساعة المعلقة بغرفتها لتهتدى إلى اقتراب ظلال الفجر .. آخذة بذراع سمر لداخل الغرفة "هيا يا سمر .. تأخر الوقت كثيرا .. علينا النوم لنتأهب لمهامنا غدا " .

obeikan.com

obeikan.com

(٦)

على غير العادة اكتظت القاعة بعشرات الرجال والنساء .. مرقت بين هذا الحشد الكبير برشاقة الملائكة تتطلع إلى وجوه متقلبة الملامح ونظرات تملؤها التطلعات والتوقعات .. وعيون لا تكاد تراها بينهم فى غفوة حماستها وتساؤلاتها وضجيج ألسنتها .. هي أيضا تغمدها حماس العمل الذى تتوق له روحها منذ سنوات .. كادت أن تحلق بجناحيها الافتراضيين من بركان السعادة الذى يتفجر بداخلها .. وفي غمرة انسجامها بالحشد المتواضع .. تعرقلت فجأة بأحد الجالسين على الأرض .. كان شاب تكسو وجهه سمرة هادئة يتخللها عضلات حادة تبرز وسامته .. وفي عينيه تطفو لمعة لطيفة من المكر .. قام الشاب ليقدم لها وردة بيضاء كان يحملها بيده كأنها تأهبت لترقد بين أصابع صاحبة الحظ السعيد .. تلقتها سابين بابتسامة عميقة تنم عن امتنانها متسائلة "أشكرك .. ولكن ما المناسبة؟!"

أجابها الشاب محاولا استمالة عواطفها بصوت هامس لا تكاد تسمعه تبدو عليه الجدية "سيدتي .. لقد قطعت مسافات وأسفارا طويلة بين شقلبات القطار وحكايات أكلي لحوم البشر .. أما معركتي الكبيرة

obeikan.com

فكانت حبس أنفاسي داخل صندوق متحرك والمدعو بالأتوبيس أسأل الله أن يفجره بكل فصائله .. تكبدت كل هذا العناء لملاقاة عيناكِ خلف المظلات الشمسية"

انفجرت سابين فى موجة من الضحك بسماع مهاترات هذا المجنون .. ابتسم الشاب لضحكاتها التى قطعتها لتتحدث "لديك موهبة فى صنع المرح واستقطاب الابتسامة .. لا أخفيك سرا حاولت اخفاؤها لكني فشلت.. ما اسمك؟ "

أجاب الشاب على الفور رافعا يده لالقاء السلام "رجب .. من محافظة قنا .. والوردة اقتلعتها من الحديقة الخارجية لأقدمها لمخرجة العمل .. ولكن ليست من نصيبها على ما يبدو .. فعندما لمحتك من أول القاعة ظننتها تشبهك لذلك آثرت تقديمها إليكِ" ..

رفعت سابين يدها لمبادلة التحية ولازالت الابتسامة خجلة على وجهها في إشراقة صباحية تزدان في طلة متميزة تتناسب مع هذا اليوم التاريخي لها .. لم تعلق على مغازلة الشاب الرقيقة .. فاستطرد مشهده العبثى الأول بانحناءة للأمام "أميرتي .. اسمحي لي أن اقتل باقي المدعوين للحفلة لنقتنص أنا وأنت فرصة إجراء المقابلة .. وسيقبلونا بكل تأكيد بعد أن أزحنا عنهم كل هؤلاء المخبولين .. دعيني أخرج بندقية الماء لأفرغها على وجوههم العابسة .. لعلهم يموتون غرقا في أمواج الابتسام" مجددا ضحكت الفتاة يراودها تساؤل أعلنت عنه للشاب "هل هذه فكرتك عن تجارب الأداء؟! .. لست بحاجة لكل هذه المبالغة"

أجاب رجب بتعقل تصاحبه ابتسامة خجلة تنم عن فهمه لما تقصده الفتاة "أعلم .. كان هذا للمزاح فقط .. أما عن الامتحان فأنا جاهز بأحد المشاهد الخفيفة التى اخترعتها خلال الأيام السابقة .. قطعت كل هذه المسافة من أقصى الصعيد وعازم أمري على اقناع اللجنة بأدائي .. سأنجح بإذن الله"

ابتسمت سابين بتعاطف وقناعة بما أفشاه الشاب عن عزمه "أعجبني إصرارك .. ولكنك لست بحاجة إلى المشهد الذى أعددته فعلى حد علمى أن اللجنة ستقوم بعمل اختبارات جماعية مبنية على بعض الخواطر الشعرية التى ستوزعها على المتقدمين"

اقتعلت كلمات سابين دهشة الشاب الذى تسلل إليه القلق مستنكرا "ليس معقول .. أظن هذا اختبار مجحف .. ثم من أين لك بتلك المعلومة التى لم أسمعها من أحد الموجودين قبلك؟!"

أظلت ارتباكها بنقاش حول فكرة الامتحان محاولةً الاستمرار فى مراوغة الشاب حتى لا تكشف عن هويتها الآن قبل أن تُسبر ما يجول فى بئر عقله "لم في رأيك مجحف؟ أليس الهدف من وراءه استكشاف الموهبة؟!.. أنت تعلم أن الموهبة خفية حتى عن حاملها مالم يطرقها زائر الموقف " لازال يعلن الشاب فى عناد عن امتعاضه من الفكرة "حسنا .. ولكن هذا يحبط الكثيرين .."

أخذت سابين تدافع عن وجهة نظرها بحدة تصطدم مع قلق رجب الذي بدا لها جليا كلما تعمقا بالنقاش "وما حاجة اللجنة لهؤلاء الكثيرين ..

obeikan.com

البحث عن المتميزين هو المأرب خلف كل هذه الأعداد .. وإن كنت تثق بموهبتك فلا داعي للقلق .. ستتمكن من مواجهة الموقف بسهولة ان اقتنعت بالفكرة"

ارتسمت القناعة على ملامحه المتواضعة .. لكنه انتبه فجأة لسؤاله الذي لم يتلقى إجابة له حتى الآن إلى جانب انه لم يتعرف بعد على هوية محدثته "أقنعتنى كما لو كنتِ صانعة الفكرة .. " بمصاحبة ضحكة ساخرة انطلقت منه تلك الكلمات ، ليتابع "لكنك لم تعرفيني بعد عن نفسك .. "

حاولت سابين أن تتفوه بالإجابة لكن هناك من ظهر على باب الغرفة المجاورة ليقطع المحادثة "سابين .. ننتظرك منذ ساعة .. هيا لم يعد هناك مزيدا من الوقت"

كان هذا مساعدها أحمد .. لابد أنه محق فهي بالفعل أغفلت الوقت بحديثها مع الشاب .. وبعد أن تعلقت نظراتها بأحمد لوهلة من الزمن.. أسرعت خطوتين باتجاهه ثم تنبهت لما أغفلته .. ألتفتت لما ورائها لتعود إلى ذلك الوجه اليابس من بركان التساؤلات ..

وبابتسامة ماكرة يرافقها الحياء أسدلت الستار عن هويتها وهي تقرب الوردة البيضاء من أنفها " أشكرك .. الوردة كانت أعلم بصاحبتها منك" لوحت بظهرها للشاب الذى تركته غارقا فى غمرة سيفها الماكر تكاد تقتله وطأة الصدمة .. خلعت عدساتها السوداء ودنت من المجتمعين حول مقاعد اللجنة لتصطدم بلوح من الثلج البارد يتوسط الجالسين ..

obeikan.com

كان وجه حنان كفيل بأن يحيل الدقائق المرحة منذ لحظات إلى وقود من العبوس .. اقتربت من الموجودين واعتذرت عن تأخرها .. لم تتقبل حنان هذا العبث فى رأيها .. استنكرته بشدة مع ذات القدر من الهدوء الموارى لعنجهية متمرسة

"ما كل هذا التأخير؟ .. أفي رأيك لا يستحق هذا العمل محاولة احترام المواعيد؟

حاولت سابين الدفاع عن نفسها وتفسير الأسباب .. لكنها لم تنل الفرصة لذلك بعد أن وأدت حنان كلماتها مقاطعة إياها بشراسة "لن نضيع ساعات أخرى لسماع مبررات سخيفة .. لنبدأ العمل الآن إن كانت نيتك أن نبدأ .. "

كاد الحرج أن يقتلع أوصال الفتاة المتماسكة .. إلا أنها لملمت كبريائها المنسدل بلمعة عيناها .. أبت أن ترمق دموعها هذا المشهد .. أكتفت أن تحتفظ بها داخلها برفقة انفعال أوشك أن يصوب شظاياه على تلك البلهاء الفاتنة .. فيما بدا لها أنها تتعمد أن تُزويها عن حلمها بأي شكل وأن هذه لن تكون المرة الأولى للتصادم .. حبست مشاعرها بتحدٍ تكلله الثقة .. تطلعت في وجوه الحاضرين الذين أسكتتهم رياح الصدمة فبعثت حركتهم بعصاة كلماتها القوية "لم توقفتم؟! .. هيا ليباشر كل منكم عمله .. أحمد قم بتوزيع الخواطر على المتقدمين بالخارج ولترشدهم إلى التعليمات .. عليهم تكوين المجموعات حسب المشهد الذي تختلقه كل مجموعة بحرية"

أستجاب المساعد على الفور لتعليمات سابين التى أخذت مكانها بجانب ربة العمل في رسالة واضحة لغريمتها .. لن أترك لها مجالا للتخلص مني أو محاولة إحراجي ثانية .. سأكون لها شوكة تعلق فى حلقها مع كل وجبة تنتوى أن تبتلعني معها.

obeikan.com

(U)

أعائد لي ! ..
وأنت خالد في دمي
أريد في جفناك أغفو يا أبي
من نهل عطرك أرتوي ..
وفي الفؤاد حكايا تأبى تنجلي
كم كنت لي فرحا يكلل جبهتي ..
وملاذا استظل به أو احتمي

***

إن الحياة بلا أبٍ ..
واحة بلا أزهار ..
نغم بلا أوتار ..
نهر بلا جريان
كلٌ بدربك يرتحل
إلا أنا ..
بيت بلا جدران

obeikan.com

رافقت عمر الانتظار

من بين خفقات النهار

أوقظ ربيعك يا أبي

جلس الرفيقان فى انتظار رفيقهما الثالث .. طال بهما الانتظار حتى حال بينهما الملل مما دفع أحدهما لمحاولة التملص من البقاء لساعات إضافية فى انتظار حاتم الذي لم يأتي بعد دون ترك أعذار.. قام وليد من مقعده على عجلٍ متأهبا للمغادرة مخبرا محمد عن خططته لليلة.

"تأخر حاتم وأنا مللت من الجلوس هكذا فى انتظاره .. محمد .. حاول الاتصال به وانا سأذهب لجلب بعض النقود لسهرة الليلية .. " تحدث وليد بامتعاضٍ شديد يصاحبه الغضب.

ابتسم محمد بخبث متسائلا " سطوت على أى بنك للنقود ووالدتك فى رحلة عمرة ؟! "

أجاب وليد مستهزئا بسؤال رفيقه الذي بدا له سؤالا غبيا مع علمه بالإجابة المتكررة "ومن أين لي بالنقود سوى من بنك والدي العامر "

ابتهل محمد لسماع ذلك ليتساءل مجددا " إذن ستلتقى والدك .. حسنا.. لم لا تطلب منه أن يوفر لي وظيفة لدى أحد معارفه؟ "

مرة أخرى بصحبة لهجة ساخرة أوضح وليد " ألتقى والدي!! .. يا رجل أنا لم أره منذ أشهر وحتى أخوتى لم ألتقى بأحد منهم منذ أيام .. كل منا لديه شؤونه الخاصة .. المهم اننا نحصل على ما نريد من مال .. أبي واسع اليد بهذا الشأن .. اسمع .. علي المغادرة لقد تأخرت .. ولا تنسى أن

تتصل بحاتم وأخبرني عن خططكما لليلة حتى أستعد .. سلام "
تلقى محمد كلام وليد بخيبة أمل كأنه كان يحدث نفسه للتو .. ألقى برأسه بين يديه المستندة على الطاولة محدثا نفسه .. "أي نوع من البشر هؤلاء؟! أحدثه عن حاجتى للعمل فيحدثنى عن المال الذي يهبط عليه من السماء بلا هَم أو تعب .. ليت لي أب مثل أبيه لكان حالى أفضل كثيرا مما أنا عليه الآن .. حاضر بائس ومستقبل منتهى قبل أن يبدأ .. فقط لو يمد لي يد العون ويضع قدمي على أول الدرج .. هذا ما أتمناه لأضع خطوط مستقبلى لأحيا كما الآخرون" غارت بعض الدموع بعينيه تداركها سريعا ببعض الكبرياء حتى لا يعلن انهزامه .. تذكر حاتم فالتقط هاتفه ليستطلع سبب اختفائه منذ يومين وعدم حضوره فى الموعد المتفق عليه .. تبدلت ملامحه بشكل مفاجئ مع ما يرد لمسامعه عبر الهاتف .. لم يشعر بصوته إلا وقد تلفظ بتلك الكلمات " حاتم سأحضر إليك الآن .. لا أعلم لم تجاهلت إخباري بكل ما حدث "
كان حاتم ملقى بجسده على أحد المقاعد فى انهيار شديد من ثقل بكائه.. لم يدرِ محمد لم ارتجف بدنه عندما رآه بتلك الحالة اقترب منه محاولا تهدئته "هون عليك يا حاتم .. انتقل والدك إلى مكان أفضل مما نحن فيه الآن .. أليس هذا ما تأمله من أجله ؟!"
رفع حاتم بصره مصوبا نظراته المنكسرة بعيني رفيقه قائلا "أنا لا أبكي لأجله بل لأجلي .. أنا من سيفتقر لغيابه ومن سأعاني بدونه"
اندهش محمد من كلام رفيقه فلم يفهم قصده .. بدا له غريب الأطوار

يتحدث على غير عادته .. حاتم الذى كان يملأ رفقتهم بالمرح والتفاؤل الآن محتجزا فى نفق اليأس والأسى .. لم يعِ محمد سر كل هذا الحزن الذى يؤرق رفيقه رغم كل ما تكبده من تعب فى السنوات الأخيرة من بعد مرض أبيه .. حاول أن يقتلع ما فى جوف حاتم ليفسر اندهاشه " لا أفهمك يا حاتم .. لقد تحملت الكثير فى السنوات الأخيرة .. حتى أنك أهملت حياتك من أجل خدمة والدك وأختك .. ومنذ عجز والدك وانت ترافقه فى كل مكان .. ولكم أذهلتني رؤيتك وأنت تحمله على كتفك فى أوقات كثيرة دون أن ينتابك أى تذمر .. أقسم بأني ما كنت لأفعل هذا مع أبي أو يفعله غيري بهذا الصبر والتحمل .. لقد فعلت أكثر مما ينبغي لأجله .. آن لك أن تحمد الله على خلاصك من هذا العبء يا رجل "

اصتدمت تلك العبارات الباردة بالنيران المتأججة فى صدر حاتم مما دفعه للصراخ " لمَ ينظر الجميع لتصرفي مع أبي بهذا القدر من الدهشة؟!.. رغم أن الداعي للغرابة هو ما يفعله الجميع .. لكم ما شئتم من العجب ولي ما أؤمن به وإن كان يزعج الناس"

نكس راية انفعاله ليستعيد هدوءه بعد هذا الصراخ الغير لائق حسب اعتقاده .. رفع طرف سرواله قليلا ليكشف عن قدمه لعله يزيل بعض العجب الذي يراود أفكار رفيقه مستطردا " انظر لهذه القدم الاصطناعية.. فقدت قدمي الأصلية فى حادث عندما كنت طفلا .. كان أبي يحملنى على كتفه فى كل مكان قبل أن تمكنه الظروف من شراء كرسي متحرك يخفف من عبئي له .. وظل سنوات عمره يجمع المبلغ

المناسب لتركيب تلك القدم التى أقف عليها الآن .. سألته يوما لم تهدر ما تملك لأجلي؟! .. أجابني بأنه يزرع ليحصد الجميع وأني قطعة منه لن يتحمل ألم أوجاعها طوال سنوات عمره .. كان يخبرني دائما بأنى العمود الذى سيقوم على أركانه البيت من بعده وأن شفائي أغلى مما أنفقه .. وعندما استطعت الوقوف على قدمي بذلت ما بوسعي لإسعاد أهلي.. إنهم يستحقون ذلك بعد كل ما عانوه لأجلي .. أرأيت ليس هناك ما يدعو للعجب .. ما فعلته أنا فى بضعة شهور لا يقارن بما تكبده أبي وعائلتي لسنوات "

لازال العجب يسود تلك الملامح الجامدة التى تلحفها وجه محمد .. بدت عليه بعض القناعة بما أفصح عنه حاتم ولكن فى حقيقة الأمر لازال ينظر للموقف بصورة مختلفة عبر عنها لحاتم في بلادة واضحة " يارجل أنت تحمل نفسك فوق طاقتها لم يكن فى مقدورك فعل المزيد.. ما فعله أبوك لأجلك هو واجبه .. لم يتكرم عليك بدور الأبوة إنما هي الجبلة التى خلقه الله عليها .. كان يكفي منك أن تمتن له دون أن تهدر حياتك من أجل الآخرين .. والآن ارتاح والدك كما رحلت والدتك من قبله وأختك تحظى بحياة مستقرة سعيدة مع زوجها ولك فضل فى هذا أيضا .. أظن القدر يمنحك الآن فرصة لوضع حياتك فى بؤرة الاهتمام دون أعباء .. لو أن القدر يمنحني مثل تلك الفرصة ما ضيعت الوقت فى النحيب والأسى.. رغم الصحة التى يتمتع بها أبي إلا انه يلقي علي بالأعباء إلى جانب تذمره المستمر من أفعالى ولومه الدائم من تركي لتلك الأعمال

المزرية التى يدفعنى لشغلها وتحيطنى بمزيد من المهانة .. جلبنا للحياة ليذيقنا مرارة فقره"

حرك حاتم وجهه يمينا ويسارا مستنكرا ما يسمع من هذا المتحجر الجالس بجواره " لن تفهم أبدا ما أتحدث عنه .. دائما ما تحفك الأنانية بكل أفكارك .. الآن راودتني تلك الآية القرآنية (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم) وإني لأظنك عدو لنفسك قبل أن تكن العداوة لأهلك .. ما تراه أنت عبء خدمة الآخرين أراه أنا رحمة لنفسي .. حياة أبي وخدمته كانت رحمة فقدتها برحيله .. لهذا أحزن على نفسي .. لن يمكنك أن تعي ما أقوله أو أشعر به .. لكن عليك فقط أن تدرك أنك لا تحيا لنفسك .. لن تتغير أبدا إن ظللت تلقي بسهام اللوم على كل من حولك وتبرئ نفسك من أية أخطاء أو تقصير.. إن أهدى لك القدر فرصة للاحسان فلا تضيعها قبل يرحلوا هم أو ترحل أنت"

ثار محمد لما تصارح به حاتم كأنه غرس خنجرا بصدره .. انفجر الغضب ليطلق مكنون نفسه من أحقاد دفينة " ماذا تعرف أنت عن حياتي لتسمح لنفسك بتحليلي؟! .. انظر لنفسك .. كأنك ترى حالك أفضل.. أنت لا تختلف عني كثيرا .. أنت فقط تختلق لنفسك هالة من المثالية لم تنفعك بشئ .. أنت بائس مثلي .. لكن الفرق أنني أنظر للدنيا بواقعية.. لم يعد أحد يفكر أو يتصرف مثلك .. إن لم تفكر بأنانية لن تصل لشئ ستدور فقط فى عالم الآخرين لتجد نفسك وحيدا بالنهاية "

لم يجد حاتم بدا من إغلاق هذا الباب من المجادلة التى لم يجد طائلا من ورائها إلا فورانا نفسيا تجرد منه كلاهما فى خطين لن يتقاطعا أبدا.. بهدوء منكسر وصوت منتحب متأهبا للنهوض .. أخبر محمد " أيقنت الآن أن ما فقدته ثمين لن يتكرر .. جزا الله أبي خيرا عما أورثنى أياه .. ما كنت لأجد نفسي لولا رحمته بي .. وعلي الآن أن أودعه مثواه الأخير.. أكرمني فى حياته وسأكرمه فى حياتي بحسن أفعالى" غادر حاتم تاركا رفيقه تمثالا عابسا فى غمرة صراعاته الفكرية.

كان هذا المشهد يحوى من القوة ما أثار مشاعر سابين .. خانتها دموعها مع بعض العبارات متسللة لا تكاد تشعر بها من فرط اندماجها مع فكرة العرض .. كان هذا المشهد بمثابة انتفاضة روحية لها .. ليس فقط لأنه أيقظ مشاعرها على ما حمله من مغزى كانت تناسته مع زحام حياتها.. لكنه أيضا أثلج نيران روحها بعد عروض متواضعة من مشاهد الأداء التى لم تنل منها إلا العبث .. أثنت اللجنة على العرض فلم يحظَ فقط بإعجابها بل نال استحسان الجميع وألهب الحماس فيمن يمرون بعدهم بهذا الدور .. أما هي بجانب هذا الانغماس فى العمل كان للمشهد نصيبه الخاص من مشاعرها الخاصة التى دفعتها لمهاتفة والدها .. لعل المشهد حقن قلبها بصحوة للاشتياق والوصال ..

obeikan.com

(ن)

بين الحقيقة والضلال تضيع أنفسنا
تــارة تصفـــو بالايمـــان قـلوبنـــا
و تــارة تغـفـو بالصمت ضمائرنـــا
لا شئنـــا نحلـق كالمـــلاك جناحـــا
ولا بالصـــدقِ تحلـــت سمائـرنـــــا
يا ربيع الصبـــر لا تقتـــل فـــؤادك
فللحق قطـوفٌ تنمـو في خمائـلنـــا
وبين الضلوع ينبض الأصل الكريم
ولو تلاشـــى خـلـف ستـائـرنـــــا

حالة من هروب التركيز انتابت خالد وهو يثقب عيني عمته بنظراته الجامدة .. انتبهت المرأة لهالة الذهول المرتكزة على وجهه أثناء عرضها لتعليمات العمل .. لم تتردد فى إبداء تساؤلها " ما بك يا خالد .. كأنك فى مكانٍ آخر؟!"
أجاب مترددا "لا يا عمتي أنا معك .. "

obeikan.com

أذهل المرأة استجابته الفورية لتساؤلها وكأنه لم يكن غائبا عن التركيز بقدر ما كان هناك ما يستحوذ على تفكيره ويتردد فى كشفه لها.
حاولت أن تستخرج مكنون أفكاره "هيا أخبرني ما بك .. أعلم أن هناك خطب ما .. وانت لا تخبئ شيئا عني .. أليس كذلك؟"
لم يطل تردده وانطلق على الفور فى الإفصاح "لم أكن أرغب فى التحدث عن الأمر ولكن علي إطلاعك بما يجري من حولك .."
استحوذ على انتباه المرأة بصورة أكبر مما أثار قلقها متسائلة بلهفة " ما الأمر؟ .. افصح"
لازال يتفوه بنبرة المتردد " إنها ريم .. وقعت مشادة بينها وبين باقي العاملين بالمكتب"
اتسعت حدقتا المرأة وتراجعت بظهرها إلى الخلف مستندة بالكرسي معلنة عن استعدادها لسماع القصة .. أردف مرؤوسها بالعرض "كنت اتحدث مع العاملين واذا بهم يثورون فجأة عند ذكر سيرة ريم حاولت تهدئتهم لمعرفة سبب ثورتهم فما كان منهم إلا ازدياد حنقهم تجاهها .. ذكروا أنها تلعب معهم دور المالكة وتعاملهم بتكبر مفرط .. إلى جانب أنها دائما تشيد بنفسها وكفاءتها بالعمل وتستأثر بكافة القضايا المهمة بالمكتب .. ولكني أخبرتهم أن هذا ربما سوء ظن من جانبهم .. " كانت عيناه تتأرجح صعودا وهبوطا .. يمنة ويسرة .. كأنها تتلفظ بحديث آخر عن ما يردده لسانه .. استطاعت المرأة أن تستنبطه ببراعة .. فأعربت عن ما اقترن بخاطرها "وما رأيك أنت ..هل تراها تفعل ذلك حقا ؟!"

أعيت ملامحه دهشة بادر فى دفنها سريعا من سؤالها الذي لم يتوقعه.. طالما عرف عنها الدهاء والحنكة ولكنها أيضا كانت دائما ما تصدق كل ما يخبرها به دون تساؤلات .. ولكنها الآن على ما أبدت تتشكك فى صدق نواياه .. لم يحاول التملص من الإجابة .. لكنه أبدى ثقة واضحة مع كلماته " لا طبعا .. لم ألحظ تصرفاتها تلك مع الآخرين وإن كنت أتفق معهم في أنها كثيرا ما تتحدث عن مجهوداتها وبراعتها.. وإن صاحب التكبر أفعالها فلن تمارسه معي بكل تأكيد هي تعلم أنني من المقربين لديكِ .. على كل حال فقط أردت أن أحيط علمك بما يدور تحت إدارتك"

أومأت المرأة ايجابا لما قاله .. بدا عليها بعض الخيبة مما سمعت .. قليلا من التشكك حل بأوصالها .. أتكون الفتاة التى منحتها ثقتها ودعمها استغلت مكانتها لديها لتُسقط من زملائها .. إن كان هدف الشاب أن يبث الشك فى نفسها تجاه الفتاة فقد أفلح .. فالفتاة لديها من الثقة بنفسها ما يدفعها لفعل ذلك وأكثر .. ولكن ما لمسته منها ينثر تلك الأكاذيب مع صفحات الريح .. فهذه الفتاة التى اتخذت منها ابنة مدللة لها منذ اليوم الأول لها بالعمل وحفتها بكافة أساليب الرعاية والإيثار أكثر من غيرها بالمكتب .. كانت تعتبرها عوض الله لها عن حرمانها من الإنجاب.

ظلت تصارع أفكارها فى صمت حتى خرق ذهنها فتاة ثائرة تطرق الباب بعصبية .. انتفض الشاب الجالس أمامها وكأن حية خرقت جلده

بحدة لسعتها .. ما كان من الفتاة إلا أن أطلقت نظرات صاروخية بعيني خالد .. انحنت مقتربة بنظراتها المرتكزة منه .. مفجرة خواطرها على مرأى ومسمع من مرؤوستهما الجالسة فى ذهول .. تحدثت ريم بندية " لم أكن أعلم أن الخسة تقطن فى بيتنا "

صرخ خالد باندفاع "هل هذا جزاء دفاعي عنكِ!! .. لقد كنت أذكرك الآن بكل خير .. فلم تصوبين ثائرتك علي بدلا من أن تطلقيها على من يستحقها؟!"

جلست الفتاة على المقعد المقابل له مستجمعة هدوءها لتفسير تصرفها الغير لائق أمام مديرتها "دافعت عني بعد أن أثرت الفتنة بيني وبين الباقين .. اتهمتنى بحيازة القضايا الهامة لما يتبعها من امتيازات مادية.. أنت تعلم أن هذا ليس صحيح وأننى ما سعيت لحيازة أى شئ " غيرت وجهة الحديث لمديرتها مستطردة " لقد بث خيوط الكراهية في نفوسهم تجاهى بعد أن أخبرهم بنيتي فى السعي لأحصل منك على وكالة الادارة أثناء الإجازة التي تتأهبين لها بعد إجراء عمليتك الجراحية .. لا أدري لمَ يحمل لي كل تلك الأحقاد رغم ما أكنه له من مشاعر جيدة "

انهالت الفتاة بموجة من البكاء الشديد .. حاولت المرأة تهدئتها برقتها المعهودة .. ما كان من الشاب إلا محاولة الدفاع عن نفسه "لم أقل ذلك أبدا .. إنهم يكذبون .. لقد دافعت عنك رغم ما علمته من محاولاتك لتشويه صورتى .. كما تفعلين الآن"

ازداد انفعال الفتاة متوسدا فى صراخ حاد " تحاول المراوغة الآن .. أنت

تعلم أنى ما كنت لأتحدث عنك بسوء .. ولكنك فقط تبرر فعلتك .. لقد تسامحت معك كثيرا من قبل أما الآن فطفح الكيل من أفعالك .. سأترك لك أطماعك تنعم بها كيفما شئت "

احتد المشهد مما دفع المرأة الجالسة بمقعد المشاهد إلى تصدر العرض .. وقفت من مكانها صارخة "توقفا عن هذا العبث الآن .. اجلس ياخالد.. ولتنصتا جيدا لما سأقول "

استجاب خالد لطلبها وجلس فى هدوء خيم على الغرفة .. تحدثت المرأة بنبرة تنم عن خيبة الأمل والحسرة "لن أتساءل ماذا حل بكما .. أنتما أفضل من لدي .. وضعت ثقتى بكما وحملتكما أمانة القرار والتصرف لتعملا سويا .. لا لتتصارعا على وهم الوصولية .. لا أدري كيف نشبت نيران الحقد والكراهية بداخلكما لمجرد نوايا دفينة لم تعلن عن نفسها بوضوح ولكنها تغولت داخل نفس كل منكما .. ظن كل منكما بالآخر المتربص الذى يريد الإيقاع بزميله حتى ينفرد هو بالسطوة والامتيازات.. أحسبني أشغل مساحة الخطأ الأكبر فى تلك المشاعر مما أثنيت به عليكما واختصرت المسافة فيما بيننا .. افتحا قلبيكما لاستيعاب الآخر وهمومه لتتطلعا إلى مشكلة ليس لها كيان من الأساس .. لن ألومكما.. إن كان هذا قانون العالم اليوم .. ادفع بالآخر قبل أن يستبق هو فى دفعك .. تمرد على دور المظلوم وإن كان بديله الظالم لتغتصب ما تراه من حقك.. هذا ما اتبعتموه من منهج وخالفتم توقعاتي .. ظننتكما غير الباقين .. وأن الخير داخلكما سيقتلع جذور الشر .. ما بالكم وأنتم

تتلمسون خطواتكما الأولى مع الحياة وتحملون كل هذا العداء .. على كل حال لم تمت الفرصة بعد .. تستطيعان أن تراجعا الأمر بينكما وتتغلبان على تلك النزعة الخبيثة التى توغلت بمشاعركما .. "

كانت المرأة على وعي كاف بمشاعرهما .. ما كانت لتخاطب عاطفتهما بمثل هذه الكلمات لولا أنها تعلم قدر الطيبة التى يمتلكانها وتحاول ايقاظها الآن .. فهذا ما عليها فعله .. وهذا ما أفلحت فيه بالفعل .. تبدلت صورتهما الآن عن بداية المشهد حسب ما تراءى لها ..

استغل خالد ما ألت إليه الأمور من سكينة وقابلية للتسامح بعد هذه المحاضرة الأخلاقية من جانب عمته .. بنظرات رافقها صوت مستعطف خافت " إن كان اعتذاري سينهي الموقف بسلام فأنا أعتذر عما فعلت وأرجو منكما مسامحتي .. أحمل هموما كثيرة تحول بيني وبين مراقبة تصرفاتي .. قد أكون أخطأت دون قصد ولكن ما بداخلى نوايا طيبة .."

بترت ريم حديثه بثورة جديدة مستنكرة اعتذاره "نوايا طيبة !! سأخبرك أنا عن نواياك الطيبة .. ما رأيك أنت بمن يقيم صلاته ثم يغمس لسانه بسيرة الأخرين .. ناهيك عما يصاحبها من افتراءات لحبك عقدة الفتنة وبث الكراهية بين الناس؟! .. وما رأيك بمن يقدم مساعداته للآخرين ويذيع بطولاته بين الجميع ليصفقون لشهامةٍ مفتعلة؟! .. وما رأيك أيضا بمن يعبث بأخبار الناس ويفضح الأمانة التى بين يديه؟! .. لم تترك مجالا إلا وتطرقت إلى زلات الآخرين مستبيحا إياها كأنك أسقطت خطاياك ونصبت من نفسك حكما على أفعالهم .. أخبرني إن كانت تلك

نوايا طيبة!! .. ما علمت يوما عملا طيبا صاحبه شر وإن كان بمحض خطأً .. أخبرني يا خالد إن كانت المفاهيم التى نؤمن بها صحيحة أم أننا ضللنا عنها .."

عمت أجواء من الصمت على الغرفة لدقيقة من الذهول صعقت خالد.. كسر تلك الأجواء عندما قام بتباطؤ معلنا انسحابه " لست نادما على اعتذاري .. اسمحي لي بالمغادرة " أومأت السيدة برأسها مؤيدة مبادرته للمغادرة .. ثم وجهت ابتسامة خفيفة للفتاة المحتقنة أمامها محدثة إياها بسخرية "ما ظننتك بهذه السذاجة .. استطاع خالد أن يثير أعصابك لتلقي نفسك بذات المصيدة التى اتهمته بها منذ قليل .. لقد انتصر عليكِ عندما وضعتِ نفسك حكما عليه!! .. كانت صراحتك فظة ياعزيزتى .. تأكدي أنه لم ينتبه لأي كلمة مما قلتيه الآن .. وإن كانت صدق .. خالد ابن أخي أعرفه جيدا وأحبه كثيرا .. أعلم أن به الكثير من العيوب ولا يقلل هذا منه .. يخطئ كما يسقط الجميع .. من مثله يا عزيزتي يقتنع تماما بما يفعله .. هو يرى أنه أفضل الأسوأ والجميع يفعل ما هو أكثر .. لذا يحيط نفسه بتلك الهالة من البطولة ويرى أنه انسان.. رغم أنك صدقت بوصفه <انسان يتشدق بالانسانية.. ما أطلبه منك الآن أن ترمي ما سبق خلفك .. نفسك أولى باهتمامك ودعمك.. لن يتغير البشر بمواجهتهم .. صدقيني أنهم أعلم بأنفسهم أكثر مما تتخيلين.. فإن أرادوا التغيير لفعلوه بلا تردد "

شعرت ريم بسخافة ما فعلته .. أحنت رأسها لأسفل مبدية أسفها .. هي

تعلم أن المرأة محقة بكل ما أعربت عنه .. تسللت بعض القطرات من عيناها مرة أخرى .. هذه المرة ليست دموع ثورة وإنما دموع ضعف وظلم أعجز كاهلها فى هذا المجتمع المستبد .. ينصف من يخادع ويقسو على من يصدر المرآة أمام وجهه القبيح .. تآلفت مشاعر المرأة مع مشاعرها التى قرأتها فى عيناها .. ربتت على كتفها واحتضنتها معربة لها عن مشاركتها لنفس الوجع الذى تلقيه الحياة فوق رؤوسهم .

مشهد جديد قابلته سابين بإطراء وبهجة .. أسعدها نجاح الفكرة وأداء المشاركين .. وما ألهب سعادتها أكثر مغادرة حنان قبل العرض الأخير مما منحها استمتاعا أكبر بالعمل .. اكتفت بهذا الرصيد لليوم الأول بعد أن غزا التعب فريق العمل على اتفاق بمواصلة الاختبارات ليوم ما بعد الغد .. حتى تلحق ببعض الوقت لتركز على مهمتها الأساسية فى إيجاد حسام المختفى منذ أيام .

obeikan.com

(٩)

"مرحبا سابين .. أسعدنى قدومك للمرة الأولى بمكتبي"

هكذا استقبلها المحامي الشاب بابتسامة جادة ونظرات متسائلة وإشارات متلاحقة تدنيها من الجلوس على أحد المقاعد المواجهة لمكتبه .. ظلت نظراته عالقة بوجهها القلق منتظرا منها أن تطفئ نيران تشككاته المتأججة بداخله .. بدا له أنه يعلم سبب قدومها .. أو على الأقل الشخص المقصود من وراء هذه الزيارة المفاجئة .. انتظر طويلا لسماع صوتها حتى حثها على الكلام محاولا تبديد حدة الحرج والتوتر البادیان على ملامحها الرقيقة ..

"ألن تخبريني ماذا وراء هذه الزيارة .. بالتأكيد لم تأتي للسؤال عني .."

نجح فى استخراج ابتسامة خجلة تبعها صوت هامس بعض الشئ لا يكاد يسمعه إلا بتركيز حواسه جميعها للفتاة المتوجسة أمامه كما لم يرَها من قبل .. لقد قابلها لمرات عديدة بمرافقة حسام .. كانت مفعمة بالثقة والمرح .. لا يكاد يذكر أن فارقتها الابتسامة ولو لمرة واحدة منذ عرفها .

"أتيت اليوم لأسألك عن حسام .. سافر فجأة ولا أعلم أى شئ عنه حتى

obeikan.com

مكالماتي لا يجيب عليها .. " عبارة أفصحت عنها باحتقان صاحبه مزيدا من المرارة ..

هز رأسه باستنكار قابضا كفيه على المكتب "تخيلت أنك تعرفين مكانه.. لا يجيب مكالماتى أيضا .. ظننتك أتيت لتطلعيني أخباره أو إيصال رسالة منه .. ولكن يبدو أنى لست الوحيد الذي يبحث عنه"

تحدثت بتلهف "أنت أيضا!! ومن أقرب منك ليعلم مكانه .. أو لأبحث عنه لديه .. لقد جننت لغيابه المفاجئ .. أرجوك إن كنت تعلم مكانه أخبره بأني فى حاجة إليه .. وإن طلب منك عدم إخباري فقط أريد الإطمئنان.. أرجوك يا ماهر لا تتركني فى تلك الحالة .. ليس معقولا أن لا يخبرك بوجهته وأنت أقرب أصدقائه "

أصر ماهر على إنكاره ونظرات تعاطف تنسل من عينيه لدموعها المنهمرة فى صمت .. سألها بدهشة "ولم يطلب مني حسام عدم إخبارك!؟ .. حسب معلوماتي أنك تستحوذين مساحة كبيرة من حياته .. لم سيفعل ذلك معك ؟! .."

استقبلت كلماته ببعض الارتياح والبشاشة .. مسحت بعض القطرات التى تجولت على وجهها المنحنى فى خجل دافعة بيديها خصلات شعرها خلف أذنيها .. رفعت رأسها مجددا مواجهة ماهر في حياء "ماذا أخبرك عني؟"

عاد بظهره مستندا على ظهر مقعده مجيبا "لست فى حاجة ليخبرني بما أراه جليا على تصرفات صديق أعرفه منذ الطفولة .. ما أتيقن منه

أنك شخص خاص جدا بالنسبة له .. وإن كان الكتمان سمة تملكته منذ الصغر إلا أن هناك لمحات متطفلة تفضح المحبين .. عليكِ أن تطردى فكرة هروبه منك بعيدا .. هو لن يفعل ذلك ابدا معك .. وسأخبرك بما يريحك أكثر .. قبل إختفاؤه بيومين التقينا وأخبرني بأن لديه الكثير من الأفكار لأجلك ولأجل مشروعك الفني .. لطالما كان حريصا على إسعادك"

ابتسمت بوضوح لأول مرة منذ بداية اللقاء ثم عبثت سريعا لتنتبه إلى واقع المشكلة التى أعادت النظر لها "أشكرك .. أسعدني كلامك .. ولكن لازلنا لا نعرف أين حسام .. وماذا علينا أن نفعل .. كل ما أخبرتني به زوجته أنه سافر لفرنسا فى مهمة عمل .. وأنا لا أدري أى عمل له هناك.. فما رأيك أنت؟"

التقط ماهر معلومتها بجدية "فرنسا!! .. اسمعي .. لنا صديقٌ فى فرنسا يمكننى الاتصال به .. إن كان حسام هناك فبالتأكيد سيحاول رؤيته .. انتظرى لحظات سأتصل به "

استخرج ماهر هاتفه من جيب سترته وأجرى مكالمته مع الطرف الآخر "داني .. كيف حالك يارجل؟ .. اشتقت إليك كثيرا .."

على الطرف المقابل بسعادة بالغة "ماهر .. أخيرا تذكرتني .. أنا فى احسن حال .. وماذا عنك؟"

أجاب ماهر "أنا أيضا بخير حال .. أردت الاطمئنان عليك وسؤالك عن حسام ألم يتصل بك؟ "

داني: "لا .. كان من المفترض أن نلتقى منذ يومين ولكنه لم يأتى على

الموعد كما اتفقنا .. اتصلت به ولم يجب .. حتى اننى ذهبت للفندق الذي نزل به وعلمت بأنه أغلق حسابه لأمر طارئ .. فظننته عاد لمصر.. اتصلت بمنزله فأخبرتني زوجته عن سرقة هاتفه وأنه سيتصل بي فى أقرب وقت بعد تدبير أمره .. وها أنا فى انتظار مكالمته"

ارتسم القلق على وجه ماهر .. بدا مندهشا لما يسمع حاول تحليل الأمر مع صديقه "لكني لم أفهم يا داني حسام لازال بفرنسا أم عاد ؟! "

تسلل القلق لداني مع هذا التساؤل .. حاول توضيح الأمر "هذا ما حاولت التأكد منه يا ماهر .. ذهبت للمطار لأعرف إن كان غادر أو لا.. وعلمت أنه لم يغادر بعد .."

صمت قليلا ثم أردف بنبرة تحمل الارتياب "ما يقلقني حقا هو مغادرته للفندق .. فى اعتقادك لم يفعل ذلك؟"

أجاب ماهر بخيبة أمل "لا أدري يا داني .. حسام مختفي بالفعل وفي ظني أن شيئا ما أصابه .. لذا عليك أن تبحث فى كل مكان تستطيع الوصول إليه .. وأنا سأبذل ما بوسعي هنا لأتوصل لمكانه"

استجاب داني لتعليمات صديقه "حسنا يا ماهر .. سأفعل .. وسأخبرك بكافة المستجدات .. إلى اللقاء الآن"

نهضت الفتاة من قلقها متتبعة لخطوات ماهر أثناء المكالمة أفصحت عن مخاوفها "إذن حدث له شيئ ما .. اسمع يا ماهر لابد أن زوجته تعلم ما حدث له .. ولكن كيف نعرف ذلك؟"

التفت لها ماهر مجيبا "بالتأكيد تعرف كل شئ .. سأزورها بنفسي لأعلم

obeikan.com

الحكاية .. رغم تشككى من بلوغ أى معلومة جادة من ورائها .. خاصة معي .. فهي لا تحبني كثيرا .. في كل استضافة التقيها مع حسام كانت تبدو فظة مع دعاباتي وتصرفاتي التى لا تساير خطوط الاتيكيت.. إنها من الأثرياء المتوسدين لعباءة التعالي والاحتقار لمن دونهم .. لا تدع مجالا إلا وأصَّلت أفكارها عن رقي الأثرياء وهمجية البسطاء .. كرم الأثرياء وتعاطفهم مع الفقراء الذين يقابلونه بكبرياء مصطنع من وجهة نظرها .. لِم يدعي الفقراء التكبر وهم فى أمس الاحتياج مع ظروفهم الرثة! هكذا تراهم يحيكون لأنفسهم أثواب بطولية لا تليق بوهنهم ومعيشتهم المعدمة "

ابتسم ماهر بسخرية مرتكزا بنظراته على سابين التى حملت رأسها المثقلة بين كفيها محاولة السيطرة على مشاعرها الكارهة لتلك المرأة .. فى نفسها تعلم أن حنان وراء كل شئ ولكن ما يمتلك لبها الآن هو كيف تصل لحسام وكيف تتأكد أنه بخير .. استمعت إلى الكلمات الأخيرة لماهر غير مهتمة بفحواها رغم تأييدها لكل حرف أفضى به عن هوية تلك المرأة المتحجرة .. استجابت لنظراته إليها مقتربة منه تتمسك بذراعه بكلتا يديها "أرجوك يا ماهر افعل أقصى ما تستطيع لتعرف منها أى شئ .. من أجل حسام .. ومن أجلى .. لم أعد احتمل كل هذا الشتات العقلي .. لا أعلم حتى كيف سأتحمل رؤيتها وإزعاجها المستمر لي بعد ذلك .. أظن انى سأقتلها يوما ما إن لم يظهر حسام فى أقرب وقت "

ربت ماهر على كفها المتمسك بذراعه يومئ رأسه استجابة لطلبها

"حسنا سأفعل ما يمكنني .. فقط كل ما أطلبه منك التماسك .. لا تبدي لها أى تشككات .. تجنبي مواجهتها كلما تسنى لك ذلك .. إن لزم الأمر أجلّى عملك بعض الأيام حتى نصل لأى خيط قريب "

أجابت بتحفظ مبتعدة بخطواتها مرتمية على مقعد قريب "ليتني أستطيع ذلك .. حتى العمل لا يمكنني تأجيله الآن .. إختفى حسام فى الوقت المناسب تماما لكسر إرادتى .. ربما شعرت بالضعف لكني لن أتخلى عن أحلامي .. سأواصل ما بدأته بعونٍ من الله "

ابتسم ماهر لقرارها عائدا لمقعده على رأس المكتب "حسام أحسن اختياره عندما وضع ثقته بك .. ستتمكنين من أهدافك وسنجد حسام.. أنا متأكد من ذلك "

أومأت برأسها مؤيدة .. ثم نهضت ثانية متأهبة للمغادرة "أنا أيضا متأكدة من ذلك .. ارتحت كثيرا لمشاركتك قلقى .. أعلم أنك لن تتخاذل في مساعدة صديقك .. أشكرك على كل شئ "

نهض مودعا لها "لا تقلقى .. لا يمكنني تجاهل كل هذا الحب الذي تحملينه لصديقي .. هو يستحق ما هو أكثر من تمثال متجسد في هيكل امرأة جميلة كحنان .. وأرجوك لا تترددي فى مكالمتى إن واجهتك أى مشكلة .. سأكون فى خدمتك تحت أي ظرف .. أنا محامٍ جيد كما يقول حسام دوما"

حاول انتزاع ابتسامتها مع جملته الأخيرة لطمأنتها قبل المغادرة واختتمها بالتحية "مع السلامة "

(١٠)

عبرت الطريق لتمر داخل بوابة الجامعة العريقة هكذا تراها دائما .. الجامعة التى حملت ذكرياتها وعنفوانها المتجدد مع كل مشروع قدمته أثناء دراستها .. أمامها حديقة الجامعة بكل ما تحمله من شهقات وضحكات ونسمات تستعمر تاريخها فى هذا المكان بزهوره الفواحة وأرصفته المتلألئة تحت لهيب الشمس .. حتى المقاعد كانت تروي لها حكايات الماضي كلما مرت بها .. أخذت تتجول بين ربوع الحديقة عامدة بنظراتها تارة على القبة الكبيرة التى ترقد لأكثر من مائة عام بشموخها .. وتارة تتلصص نظراتها على الوجوه العابرة يمينا ويسارا.. تروي ابتساماتها أحاديثا كامنةً مع نفسها التى اغتابت فيها هؤلاء المارة من الطلبة والطالبات التى تبدو نظراتهن عابسة حزينة رغم صخب ضحكاتهن .. تقرأ فى أعينهن فراغا ساكنا ينم عن أرواحٍ ماتت بها الإرادة والتحمل .. فقط .. ترى في الكثيرين منهن ظلالا متجسدةً فى هياكلٍ شبابية .. أما القليلين أعادوها لسنوات مضت .. التحمت عزائمهم وأرواحهم الطلقة مع وجوه قديمة ألفت نفس منهاجهم فى السعي والتحدي لكل ما ينتظرهم من عقبات لا يمحوها الزمن وإنما يغذيها..

جلست سابين على هذا الحال لأكثر من نصف الساعة حتى انتبهت لأختها الحاضرة أمامها للتو بعد أن أنهت محاضراتها وبصحبتها شاب طويل القامة أرهق نظراتها بالصعود لتطلع إلى وجه يكسوه هالة من البياض وشعر كستنائي يلمع مع الخيوط الذهبية للشمس .. استدعت سمر انتباهها بتقديم الشاب " سابين هذا صديقي علي .. حدثتك عنه من قبل .. أتذكرين؟ "

أجابت سابين مع ابتسامة خفيفة مقدمة يدها لتحية الشاب "أه بالتأكيد أتذكر .. أسعدني لقاؤك يا علي"

استجاب علي للتحية بمبادلتها نفس الابتسامة "أنا الأسعد بلقائك .. سمر دائمة التحدث عنك حتى أنني لست متأكدا من أن لقاءنا هذا هو الأول .. ولن يكون الأخير بأية حال .. فها أنا صديق جديد لقائمتك إن كنت لا تمانعين"

شهقت سابين بابتسامة عفوية قائلة "ولم أمانع؟! .. أحسبني الفائزة من وراء هذه الصداقة "

تبادلت ابتساماتهم مع هذا التعارف المثمر .. كانت سمر أشدهم سعادة بهذا التآلف الذي سعت من وراءه لإقحام أختها بقصتها الجديدة مع حب يداعب قلبها للمرة الأولى .. أفلحت خطوتها مع الفرصة التى قدمتها لها سابين على صينية من ذهب عندما أخبرتها بالحضور لاصطحابها .. استغلت إحدى زيارات أختها النادرة لتوفير وقت تعارف لاحق لا تدري متى يمكن ان يحدث فى المستقبل مع انشغال أختها

الدائم .. كانت خطوتها الثانية هي محاولة الإنفراد بسابين لتفيض بما يختلج بجوفها مع أختها الوحيدة .. ارتبكت كلماتها الموجهة إلى علي المنتظر لما عليه ان يفعله الآن "حسنا يا علي .. كما تعلم لن نكمل إعداد البحث اليوم .. نكمله فى الغد .. سابين وأنا على موعد غداء .. هذه الخطة لا تتكرر كثيرا .. أحمد الله أني سأرتاح اليوم من إعداد الغداء.. ليت الأمر يصبح عادة" وجهت عبارتها الأخيرة لسابين التى فهمت فحواها وخيبت رجائها بسخرية :

"لا يا حبيبتي .. انسي الأمر .. دعوات الغداء من الأمور العابرة لا يمكن حدوثها أكثر من بضع مرات فى العام وإلا سنقضي باقي الأيام جوعى "

ضحك علي وطرح عرضه للفتاتين (إن شئتما دعوتكما للغداء في المكان والوقت الذي تحددانه) ابتسمت سابين فى خجل قائلة "نشكر رقة عرضك .. وإن كنا أصبحنا أصدقاء فتبادل العزائم قائم فى أوقات لاحقة .. نستأذن منك الآن للمغادرة .. فأنا أتضور جوعا"

جذبت ذراع سمر مغادرتان مع تحية الشاب "إلى اللقاء"

بعد ابتعادهما لخطوات تحدثت سابين بتلهف "هيا أخبريني .. ماذا وراءك يا فتاة؟"

أجابت سمر بابتسامة خجلة " ألن نجلس أولا فى مكان ما؟!"

سابين : "حسنا .. هيا بنا للمطعم"

اتخذتا مقعدين على إحدى الطاولات المطلة على النيل وبعد طلب الوجبة بدأتا فتح المغلف الخاص بسمر مع استعراض الفتاة لقصتها

أمام نظرات أختها المتعطشة "حسنا يا سابين .. علي زميلي بنفس التخصص لكنه فى السنة النهائية للجامعة .. تعرفت عليه منذ أشهر مع بداية الدراسة .. فهو صديق لأحد زملائي بالفرقة .. لم نتحادث كثيرا فى البداية ولكن مؤخرا تواصلت لقاءاتنا مع إعداد اللوحات للمعرض الذي ستقيمه الكلية بنهاية الفصل الدراسي .. كانت الفرصة كبيرة لنتعارف أكثر .. ولا أدري ماذا حل بي مع تسلل بعض المشاعر بداخلي .. هذا كل شئ"

تبسمت سابين بخفة مع التقاط تلك اللمعة فى عيني سمر وهي تتحدث.. يمكنها أن تستنتج ما أفصحت به أختها .. فهذا عادة ما يحدث تحت قبة الجامعة .. كما مرت هي من قبل بقصص مشابهة معها أو مع أقرانها .. ما كان يشغل اهتمامها هو قدر الصدق الذي تحمله تلك العلاقة الجديدة التى تجتازها أختها للمرة الأولى .. والذي حملها على احتواء كل ما تحمله سمر من مشاعر ومواقف تدنيها من مرادها .. حاولت تفصيل الأحداث لاستخلاص كل ما يحتويه مكنون الفتاة :

"يا عزيزتي .. هذا ليس كل شئ .. أعلم مشاعرك جيدا التى أراها بوضوح فى بريق عينيكِ .. لكن ماذا عن علي؟"

أجابت الفتاة على الفور "بالتأكيد يبادلنى الحب .. هو أخبرني بذلك ."

لمحت بعض التشكك فى نظرات سابين حاولت اللحاق بها قبل أن تمضي قدما فى ترسيخ أفكارها ببعض من التوضيح والطمأنة .. استطردت بنبرة تعلوها الجدية "أعلم أنك متشككة فى مشاعري ومشاعر علي..

لن ألومك على ذلك فأنت لازلت تريني تلك الفتاة الصغيرة التى لا تكاد تضع خطواتها الأولى على أدراج المسؤولية .. لكنى أطمئنك أنا لم أعد تلك الصغيرة التى ترقص طربا لكلمات الاعجاب وأبيات الغزل .. مشاعري انا واثقة منها .. ومشاعر علي أثمرتها لي مواقف عديدة يمكنني حصرها لك .. ولكن ليس هذا بيت القصيد .. هناك ملامح أخري للحكم على المحبين .."

لمست الأخت الكبرى تلك الجدية التى أعتلت أسلوب سمر فى استعراض مشعرها .. بدت مقتنعة بعض الشئ .. هي تعلم جيدا أن أختها ليست من هؤلاء الفتيات الساعين وراء أى قصة حب تلقي بهن فى براثن بعض الذئاب المستغلين لتعطشهن لبعض كلمات الحب والوله مع أوهامٍ رومانسية كاذبة يحيكها البعض من نسيج الفراغ الذي يحيط بحياتهن.. حاولت ابداء تفهمها لما أوضحته منذ لحظات "سمر أعلم أنك لست بالفتاة التافهة التى تذوب ولعا مع أي كلمة غزل .. وأعلم أن هناك شئ مميز فى هذا الشاب استأثر مشاعرك .. لكن يا عزيزتي هذه تجربتك الأولى فى ممارسة تلك المشاعر .. وعادة ما يكون الحب الأول ليس أكثر من تجربة أولى يخرج بها المحبين ببعض الخبرات التى تؤسس تجاربهم المستقبلية .. أنا لا أطلب منك التخلي عن مشاعرك .. ما أطلبه هو عدم الانجراف مع أمواجها الهادئة لأنها أشد قسوة من تلك الهائجة التى تحث أوضاع التأهب للمرتطمين بها"

شعرت سمر ببعض الارتياح لأن سابين لم تطلب منها أكثر من التعقل

وهو زادها الذي تحمله معها دائما فى أى حدث يطرق حياتها .. مرة أخرى أفصحت بشكل أوضح عما يعتريها "أتدرين يا أختي ما حل بي .. عندما كان الخوف يخنقني فى أغلب الأوقات ثم أشعر بمظلة من الهدوء والأمان تحتويني كلما حل علي بخاطري أو تحدثت إليه .. أتدرين تلك الحالة من التجرد .. عندما لا تنتقين كلماتك قبل التفوه بها .. وعندما تتصرفين بعفوية يلتقطها الآخر بنفس القدر من الطبيعية والفطرة .. تتفوهين بكل ما يجول بداخلك دون أن ينتابك التردد أو القلق مما سينال الطرف الآخر من سوء النوايا .. أحيانا أشعر أننى وعلي كسطور الكتاب التى تكمل بعضها لتحمل جملا ذات معنى .. أنا وعلي نعيش نفس الفصول ونتنفس ذات الأفكار .. حتى خطوطنا بالرسم باتت متشابهة .. من لا يعرفنا يرانا كتوأمين من فرط تشابهنا .. لا أقصد تشابه الشكل ولكن تشابه ملامح الروح المرتسمة على وجوهنا وأفعالنا .. إنها حالة من السعادة لا يمكنني تفسيرها .. "

تحدثت سمر بفرط من العمق والذوبان فى المشاعر التى وصفتها بتلقائية بالغة .. صمتت قليلا لتتأمل حالة اللا وعي التى ارتسمت على وجه سابين الحالم فى كلماتها كالمسحورة .. أردفت بتغيير وجهة الحالة "سابين أنت أيضا عاشقة ولا أظنك بعيدة عن تلك المشاعر التى أصفها لك الآن .. لا شك أنك وحسام تناولتكما تلك الحالة من قبل "

غارت عينان سابين ببعض الدموع التى حبستها على طرف رموشها عندما تذكرت حسام .. تعلم أن أختها على حق بكل ما تفوهت به ..

تيقنت من مشاعر أختها .. وانسل منها القلق الذى حملته عليها قبل الحديث .. فهي باتت الآن واثقة من خطوات أختها لحدٍ تخطى ثقتها بمشاعرها هي .. صدقت أختها عندما حدثتها عن مظلة الأمان والتجرد.. تلك المشاعر التى تملكتها مع حسام إلا أنها كانت أقل حظا فى الإفصاح والتحرر منها كأختها .. فظروف حسام العائلية كانت تمنعها من ذلك .. أما هي الآن لا تدري بأي خندق تسكن بعد اختفاء حبيبها ..

شعرت سمر بما يجول فى خاطر أختها مع تسلل دموعها التى لم تتمكن من حبسها طويلا .. أرادت إصلاح ما أفسدته .. اقتربت من سابين واحتضنت يدها "أختي لا أقصد أن أذكرك بحسام .. أعلم مشاعرك الآن.. فقط أردت إيصال مشاعري المتفقة مع مشاعرك "

أومأت سابين برأسها تفهما وتفوهت بكلمات مختنقة "لا عليك .. سأكون بخير .. كل ما أفصحت به حقيقي وأصبحت لا أملك أعذارا لأخشى عليك .. أنا على ثقة من امتلاكك النضج الكافي للتصرف وتقدير المسار المناسب لقلبك ومستقبلك .. حتى أنا لا أملك ذات القدر من حسن التدبر الذي أفحمتنى به "

ابتسمت الفتاتان مع اعتراف سابين الأخير رغم لعبها الدائم لدور الأخت الكبرى التى تمتلك من الخبرة ما يؤهلها لمواجهة كافة المشاكل .. هما الآن أصبحتان على وعي بحجم المسئوليات التى عليهما تشاركها سويا دون أن تتشبث أحدهما بدفة القيادة دون غيرها .

obeikan.com

(II)

جلست بكبريائها المصطنع كعادتها تحتسي فنجانا من القهوة الساخنة مع أنفاسٍ باردة الروح عندما دخل ماهر إلى المكتب .. كان جو الغرفة أكثر برودة مما كان يتوقع .. ألقى عليها تحية شاحبة تليق بالجو الذي صنعته ثم اتخذ مقعده لتبادله هي الأخرى بتحية أكثر شحوبا مما أطلقها عليها .. دعته لمشاركتها فنجانا من الشاي .. ثم تساءلت عن سبب زيارته وهي تقلب ببعض الأوراق أمامها "تفضل يا أستاذ ماهر.. ماذا يمكنني أن أقدم لك؟"

بدا لماهر أنها تحاول أن تقنعه بانشغالها ليقتصر من زيارته التى هي بالتأكيد لا ترحب بها بأي حال .. فأسوأ ما يمكن أن يفسد يومها هو رؤيته التى تقلب ميزان مزاجيتها الراقية بالجلوس بنفس المكان مع شخص تعتبره من عالم آخر تستنكره .. هو أيضا كان أكثر منها رغبة في إنهاء هذا اللقاء الثقيل على كاهله لذا تجاوز المقدمات وانطلق بلب الموضوع مباشرةً "فى حقيقة الأمر جئت أسأل عن حسام .. وبالتأكيد لديك إجابة عن مكانه "

obeikan.com

أجابت على الفور بابتسامة باهتة تحمل فى طياتها مكر متواري وهى لا زالت ترتب الأوراق أمامها "أها .. بالتأكيد أعلم أين يتواجد زوجي الآن"

سأل ماهر مجددا "أين هو ؟ "

أجابت باستخفاف "لم لا تسأله أنت .. معك رقم هاتفه"

ضحكة ساخرة صدرت منه بعفوية تبعها بنبرة متحدية الغضب "أتظنين أنني لم أتصل به .. لا يجيب على هاتفه على غير العادة .. لم تظنين أني أتيت إذاً ؟!"

وضعت الأوراق جانبا ثم وجهت نظرات ثاقبة إلى ماهر .. ارتشفت من قهوتها بنفس هدوئها المعهود ثم واصلت الكلام "حسام بباريس فى مهمة عمل .. ولست مضطرة لإخبارك عن طبيعة هذه المهمة "

سألها بحدة "ولم لا يجيب عن المكالمات والرسائل .. أو يخبرنى بسفره؟! "

ابتسمت لتجيب "لا أدري .. هو من لديه الإجابة عن سؤالك .. إن كنت صديقه المقرب ولا يجيب عن اتصالاتك فكيف لي أن أعرف السبب وراء تصرفه معك .. إلا إن كان لا يريد محادثتك "

ربت ماهر بأصابعه على المكتب محاولا كظم ما يجول بداخله من الغيظ مما يتلقاه من ردود باردة من امرأة الثلج كما يطلق عليها دائما .. حاول الوصول لأي معلومة "حسنا .. أخبريني بأي محل يقيم فى باريس.. ولأي مهمة سافر؟"

تأملته لثوان وكأنها تصر على تفجير وقود الغضب بداخله ثم نطقت

"ليتني أستطيع إخبارك .. إن كان صديقك لم يخبرك بوجهته فلم أخبرك أنا .. أليس من الممكن أنه لا يريد إعلامك بما يقوم به .. كان من الممكن ان يخبرك بوجهته .. لكنه لم يفعل .. فلم تصر أنت على السؤال؟!"

احتد صوت ماهر وبدا انزعاجه يتضح جليا "اسمعي .. سئمت مراوغتك.. أعلم انك لا تطيقين رؤيتي .. وصداقتي لحسام مبعث للاشمئزاز بالنسبة لك .. ولكن ما أريدك أن تتأكدي منه أن صداقتنا لن تنتهي أبدا مهما حاولت تفكيكها بألاعيبك .. إن كان فى إمكان حسام أن يجيب مكالماتي لفعل .. ولكني اعلم ان هناك خطب ما .. وأعلم جيدا أن كل شئ يحدث بتخطيطك .. ولن أسمح لك بإيذاء صديقي مهما كلفني الأمر "

حدقت عيناها مندهشة من ردة فعله .. حاولت استعادة هدوئه والتلاعب به من جديد "ليس فى الأمر أي شئ أو إيذاء كما تتوهم .. أخبرتك حسام فى مهمة عمل وبالتأكيد لن أخبرك عن طبيعة العمل .. إنها أعمال تجارية ونجاحها يعتمد على الكتمان كما تعلم وإلا وجدنا منافسينا فى مقدمتنا " .. اقتربت بوجهها قليلا للأمام بنبرة أكثر تحديا.. وأردفت " لن أسمح لك بتهديدي بهذا الشكل مرة أخرى .. أظنك لا تضع حساباتك جيدا لتعي مع من تتحدث"

لم يقنع ماهر بكل ما تفوهت به لازال متيقنا من كذبها ومحاولتها إخفاء أي معلومة تفيد فى الوصول لحسام .. نهض من مقعده بانزعاج يخاطبها بملامح غاضبة ونبرة باهتة بعض الشئ يغلب عليها الجدية التامة "أعي تماما مع من أتحدث .. ولولا أنك تحملين اسم صديقي لكان

موقفي معك مختلفا تماما .. كل ما تفوهت به كذب .. واطمئني أعلم جيدا كيف أجد حسام دون مساعدتك "

غادر ماهر بعجلة تنقلتها خطواته الثائرة حتى دفع الباب بغضب شديد.. كانت حركته سريعة لدرجة أنه مر من بوابة الشارع بعد هبوط ثلاثة طوابق فى ثوان معدودة .. غير مبصر لطريقه من وطأة التفكير حتى أنه اصطدم بباب أحد السيارات المنتظرة أمام المبنى ليخرج منها شخص يعرفه تمام المعرفه .. استقبله الرجل بحفاوة "ماهر ..ها أنت .. أين اختفيت طوال تلك المدة؟ .. لم أرك منذ عام أو أكثر "

حاول ماهر استعادة بسمته لمبادلة حالة الود التي نثرها الرجل بسلامه "ملعون كعادتك يا حيدر .. أنا المختفي أم أنت .. أي ريح أتت بك إلى هنا؟"

حيدر : "كنت على وشك أن اسألك نفس السؤال .. ما اتى بك أيضا؟"

أجاب ماهر بجدية "جئت لأرى صديق لي فهو رئيس هذا المكان"

ابتسم حيدر متحدثا بلهفة "حسنا انت تعرف حسام نور الدين .. لعلك تتولى الأعمال القانونية لشركته "

أجاب ماهر بخيبة أمل "نعم اتولى بعض الأعمال القانونية .. فهناك محامون آخرون يتولون بعض المهام"

زادت سعادة حيدر وكأنه عثر على فرصة العمر "حسنا يا ماهر .. هذه فرصة جيدة أن ألتقيك واكتشف انك تستطيع مساعدتي .. "

اندهش ماهر وتساءل "كيف أساعدك؟!"

أجاب الرجل : "أنا اتولى المسائل القانونية لصاحب شركة الفجر للدعاية وأرسلنى اليوم لأصل إلى اتفاق مناسب لشراء الشركة "

غلبت الدهشة ملامح ماهر .. عن أي شركة يتحدث زميله؟! .. حاول أن يبدى علمه بما يتحدث حيدر حتى لا يدفعه للتشكك ومحاولة إخفاء ما يريد كشف الغطاء عنه .. فتكلم بنبرة طبيعيه "حسنا .. ما دوري لمساعدتك؟ "

أجاب حيدر على عجل "بما أنك صديق حسام فيمكنك إقناعه وإقناع زوجته مالكة الشركة بالعرض المقدم منا للشراء .. فإن تأخرنا أكثر يمكن أن تقع الشركة بيد منافس آخر ممن تقدموا للاعلان .. وانت تعلم أنها حصلت على موقع متميز بالسوق فى السنوات الأخيرة .. فما رأيك؟ .. أنا فى حاجة لمساعدتك .. إن كانوا سيبيعونها على أية حال فلم لا تخدمني بهذه الصفقة"

هز ماهر رأسه كأنه يبدي موافقته على ما سمعه .. لكنه فى حقيقة الأمر فى عالم آخر مع أفكار أخرى .. أى خدعة تخطط لها حنان فى غياب حسام ؟! .. كان عليه أن ينهي النقاش ليتفرغ لمهمته "حسنا يا حيدر سأبذل ما أستطيع لكن لا تخبر أحدا بما تم بيننا "

مد حيدر يده مرحبا باستجابته " بالتأكيد يا ماهر .. أشكر تعاونك .. أراك لاحقا "

غادر ماهر مسرعا إلى سيارته .. أطلق عصبيته بقبضات قوية وجهها لمقدمة السيارة .. صارخا "أي مصيبة تخطط لها هذه الحقيرة؟ "

هدأ لبرهة ثم التقط هاتفه متصلا بصديقه الفرنسي .. بدا منفعلا فى مكالمته "داني .. بت متيقنا من أن حسام فى خطر .. عليك أن تصل لأي شئ .. أرجوك أبذل أكثر مما تستطيع .. أتمنى لك التوفيق .. إلى اللقاء" أغلق الهاتف وألقاه على المقعد المجاور .. وانطلق بسيارته تغزوه المخاوف مما قد يكون حدث لحسام .

obeikan.com

(١٢)

صفقة رابحة لرجب أن يضم فرد جديد لمجموعته .. كان عليه أن يوسع فرقته لأداء مهام كثيرة فرضت نفسها مع الوضع الديني المتدني التى تشهده البلاد .. هكذا يقول دائما .. يغلبه شعوره بالواجب والمسئولية لمواجهة هذا الإسفاف والتدهور الأخلاقي .. إنها مهمته ومهمة كل من يغار على دينه من العبث ومخالفة الشريعة .. كانت سعادته بالغة بلقاء عامر .. الشاب اليافع الذى تعرف عليه بمحض الصدفة واستطاع أن يخاطب أفكاره باستفزاز الانفعالات المتطرفة لديه .. وتحريض غيرته فى الدفاع عن الدين من الاندثار .. وأفلح فى مسعاه بعد إغوائه بملذات الجنة وما أعده الله لعباده المصطفين من المجاهدين فى سبيله .. كانت سعادة رجب بالغة بلقاء الشاب للمرة الأولى فى ميدان العمل عندما تأهبا لأداء مهمتهما الجديدة .. كان كل شئ على ما يرام .. وتمت المهمة بنجاح بفضل رجب المتمرس فى أدائه .. بعدها عادا إلى شقة رجب .. لم يكد عامر أن يعبر باب الشقة حتى لطمته دفعة قوية من رجب الذى طرحه أرضا .. مصطدما بجبهته فى أحد المقاعد .. مما تسبب فى جرحٍ بسيطٍ برأسه .. سالت منه بعض الدماء .. حاول الشاب النهوض ونبضات

obeikan.com

صدره ترتجف صعودا وهبوطا من شدة الخوف .. لم تكتمل محاولته للنهوض مع الركلات التى أوسعها رجب بجسده الهزيل .. واستسلم لها عامر بلا مقاومة .. اقترب رجب منه ولازال الغضب مرتسما على ملامحه المقتضبة .. أمسك بذراعه ليجلسه على المقعد .. ثم سأله بغضب " لم فعلت ذلك أيها الغبي؟! .. أتظنها لعبة للترفيه .. كان من الممكن ان تودى بنا للسجن لولا توفيق الله"

لم ينبس عامر بكلمة .. ظلت نظراته عالقة بالأرض .. لا يدري ماذا يقول.. يعلم أن ما يقوله رجب صحيح .. لذا ظل فى صمته مما زاد من حنقة رجب .. لف ذراعه بقوة حول عنق الشاب محاولا خنقه

" هيا تحدث وإلا قتلتك .."

نهره عامر مدافعا عن نفسه .. حتى تمكن من تحرير عنقه باجتهاد .. ثم قرر التحدث "لا أستطيع أن أفعل ما تفعله .. فأنا أخاف"

عض رجب أسنانه من الغيظ صارخا فى وجهه "يا جبان !! .. ظننتك رجلا.. أتخشى الناس .. والله أحق أن تخشاه"

صرخ عامر برجفة " قصدت خوفي من الله "

اتسعت حدقتا رجب لإجابته التى صدمته : "ماذا تعني؟! .. إن كنت تخشى الله لاتبعت أوامره ونفذت مهمتك بشجاعة .. لكنك جبان خشيت أن تحاكم "

أجاب عامر بلهفة "لا .. لم أخش العقاب الذى قصدته .. لكني خشيت الله من إقدامي على القتل "

obeikan.com

ازداد اندهاش رجب كلما توالت كلمات الشاب ليستطرد "انتابتنى رجفة وأنا أرفع السلاح فى وجه الرجل .. شعرت أني أغدر به .. لا أدري ماذا حل بي .. لم أتمالك نفسي من الصدمة التى لحقت بي وأنا أرى المرأة التى كانت بصحبته وهى صريعة على الأرض بعد تصويبك لها "

رفع عيناه لمواجهة رجب مواصلا تحرير مشاعره " لا أظن أن الله يرضى بذلك .. لا أستطيع أن أقتل "

هز رجب رأسه باستنكار " أأخذتك الشفقة بهؤلاء؟! إنهم أنجاس .. ألا تفهم .. إنهم لم يحترموا شريعة الله .. يعثون فسادا فى الأرض .. ويواليهم غيرهم بذلك .. انتركهم فى بغيهم .. أنترك الدين لعبة بأيدي كل من يلهو به .. ألم يأمرنا الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! .. إن تركناهم لأضلوا غيرهم .. لذا علينا مقاتلتهم ليكونوا عبرة لمن يفسد .. أليس هذا حق؟! "

برقت عينا الشاب بدموع عالقة .. حاول إثبات فكرته بإصرار "لا .. ليس هذا حق .. بل باطل .. من نصبنا لنقوم نحن بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟! .. ما المعيار للحكم على البشر إن كانوا صالحين أو فاسدين؟! .. لقد كنت فى غفلة عندما طاوعتك .. ليس هذا بحق .. ليس هذا بحق"

استطاع عامر أن يثير استفزاز رجب الذى أخرج سلاحه موجهه إلى رأس الشاب "لا سبيل من مجادلتك .. لقد حنثت بالعهد .. لا يمكنك الاستمرار معنا على أية حال .. لذا وجب علي قتلك"

انتفض عامر من مقعده فى فزع "لم تقتلني؟! .. انا لم أؤذيك .. ولن أخبر أحدا بشئ .. فقط اتركني أرحل بسلام "

ابتسم رجب بسخرية "ترحل!! .. بعد كل ما حضرته معي مستحيل أن ترحل على قدميك .. أنت أجبن من أن تصدر عهدا جديدا .. لذا سأقتلك الآن "

كانت نبرة رجب تنم عن الجدية البالغة مما دفع الشاب للتوسل "لا.. أرجوك لن تقتلنى .. على الأقل أعطنى الفرصة لاستغفر الله .. دعني أصلي أولا .. أتوسل إليك أن لا تحرمني من ملاقاته نقيا .. بعدها اقتلنى إن شئت .. فقط دعني أبرأ من ذنبي"

استجاب رجب لطلبه .. واخمد سلاحه "حسنا .. سأتركك تصلي لعل الله يغفر لك خذلانك "

تنفس الشاب الصعداء .. ثم أسرع للوضوء وباشر فى الصلاة .. أما رجب فاستغرق بالتفكير .. ظل يروح ويغدو بالغرفة بغضبٍ ونفور .. ثم جلس متمركزا بعينيه على عامر الذي رآه ينهمر بكاءا فى صلاته .. لا يسمع ما يقوله عامر بالدعاء لكنه استشعر نوبة من العطف تجاهه .. حاول أن يزويها جانبا ليستنهض سعيه فى التخلص منه .. لكنه لم يفلح هذه المرة لم يستطع جلب مشاعر الكراهية لمن يخالف منهج الله كما فعل من قبل مع من قتلهم .. لا يدري ماذا حدث له .. لِم يشعر بالشفقة تجاه الشاب؟! .. غلبته وساوس الحيرة .. هذا الشاب أثار الشك فى نفسه .. إنه شيطان يحاول أن يحيله عن ما سخره الله له فى الدفاع عن الإسلام ..

انتهى عامر من الصلاة .. نهض فى هدوء وتقدم بشجاعة مقتربا من رجب .. ليخبره عن استعداده لملاقاة ما ينتظره من مصير "ها انا أمامك اقتلني إن شئت"

اندهش رجب من تصرفه .. فحاول اثارة أعصابه "ألم تكن متوسلا منذ دقائق لألا أقتلك .. ماذا أصابك الآن؟!"

ظل الشاب على هدوئه "نعم .. هذا صحيح .. لكني الآن استغفرت الله لذنوبي .. وفوضت أمري إليه .. وأصبحت مستعدا للقائه بالنهاية التي أعدها لي .. والآن دورك"

نهض رجب من مقعده بابتسامة ساخرة .. مخرجا سلاحه مجددا "حسنا.. سأقتلك"

تحدث عامر بأسى "أتدري .. لعلي أكثر حظا ممن قتلتهم قبلي .. ليتك منحتهم مثل تلك الفرصة للتوبة قبل أن تتخطفهم المنية .. ما حدث معي الآن جعلني أتيقن قدر احتياجهم لذلك الوقت للنجاة من معاصيهم .. ألم تفكر لمرة واحدة أنك تقطع عنهم فرصة النجاة.. من يدري .. لعلهم كانوا على وشك العودة إلى الله قبل أن تنتزع منهم النفس الأخير للحياة .. فإن كانوا في النار الآن فلك إثم إبليس .. أنت تتبع نفس منهجه فهو أيضا يدفع الناس إليها .. والصواب في الصبر فكلنا عصاه مع اختلاف خطايانا .. تخيل إن غفلت يوما بمعصية ولم يمنحك أحدهم الوقت للتبرأ منها .. ماذا أنت بفاعل؟! .. لم لا تترك النهاية لصاحبها؟! أليس الله بحقٍ أن يجازي الخاطئين؟! .. على كل حال

obeikan.com

لن يفيد كلامي فأنا أعلم أن الحديد يلين ولا تلين أفكارك .. لذا هيا أنا متأهب لرصاص سلاحك"

ساد العبوث وجه رجب الذي تجمدت نظراته الغاضبة على عامر الصامد أمامه بمروءة .. تهاوى السلاح من يده محنيا رأسه للأرض .. شعر بخذلان شديد يدب في نفسه مع تسارع نبضات قلبه .. انتابته رجفة لا يعلم سببها .. رفع رأسه مرة أخرى بعينان دامعة .. لم يتمالك نفسه من الهزيمة "لا أدري ماذا حل بي .. يدي لم تقوى على قبض زناد السلاح .. أظنك على حق يا عامر .. أعترف بذلك .. لعلي أخطأت بأفكاري ولكن .. يمكنك الذهاب بسلام الآن "

لم يصدق عامر ما سمعه ولكن تلك الملامح المنهزمة أمامه بدت قاطعة لأي شك فى ما أفضى به رجب .. ابتسم عامر ممتنا له .. حاول أن يدعوه لرفقته "لم لا تأتي معي؟ .. إن كنت علمت خطأك فلك أن تتخلى عن كل هذا وتستغفر الله"

حرك رجب رأسه مستنكرا "لا .. وضعي يختلف عنك .. لن يتركوني أرحل كما تركتك .. لا تعبأ بأمري .. غادر أنت الآن"

لم يتأنى عامر هذه المرة فغادر مسرعا ..

صرخ رجب من البكاء ملقيا برأسه بين كفيه "ماذا فعلت بالناس وبنفسي؟! .. يالحماقتي" .. انحنى بركبتيه على الأرض رافعا يديه إلى السماء "يارب .. ضللت السبيل .. كنت أرجوك وهزمني ضعفي .. أغواني حقدي وكراهيتي للسعداء فشقيت بإثمي .. رب أنت تعلم ما في نفسي..

اغفر لي فكلي ظلمات وأنت نور .. كلي ذنوب وأنت عفو .. أجبرني فإني ذليل منكسر بين يديك .. ظالم أطلب رحمتك .. شقي أسألك النجاة.. تركت باب الناس وطرقت بابك .. فاقبلني .. عابد .. مطيع .. مسلم لقضاؤك كيفما كان .. رب إرحم ضعفي بين يديك .. رب زدني إقبالا عليك .. رب زدني إقبالا عليك"

انتهى المشهد مع صوت عذب يتلو تلك الأبيات :

مولاي طال الدرب وإني لرؤياك مشتاق
يامن تضم القلب صرنا لنجواك عشاق
لا مؤنس يخاطب وحدتي إلاك رباه
أرجو من رحماك ودا فتؤتني ضعفاه
وإن أرهقني الذنب لرد عفوك ذل شقواه
وإن ضاق الفؤاد ففي رحابك طاب نجواه
رب كن لي رفيقا على وجع فاض شكواه
وكن لي بذكرك عونا عالدهر في بلواه
أسألك قربا ينير دربي بسر العشق رباه
فيك الهوى يصفو ويحتدم ..
ياواضع السر أنت هداه

انفجرت اللجنة بالتصفيق إلا سابين غادرت مكانها فرارا من الغرفة لم تتمالك نفسها من البكاء .. دقائق حتى استعادت هدوءها .. غسلت

obeikan.com

وجهها بالماء لتدارك أثار الدموع المبعثرة على وجهها وعينيها لتعود إلى غرفة الامتحان .. اصطدمت في الممر برجب الشاب الوارد من الصعيد للمرة الثانية .. كانت المرة الأولى في اليوم الأول من الامتحان عندما اهداها الوردة التى ظلت محتفظة بها في أحد الكتب بغرفة منزلها .. بادلته بابتسامة خجولة .. حاول الشاب الاطمئنان عليها "أنت بخير؟" رفعت يدها تمسح دمعة عالقة على خدها .. مبتسمة بارتياح "نعم بخير .. عفوا .. لم أتمالك نفسي .. لقد أبدعتم بالأداء والفكرة .. وأذهلنى تمثيلك .. كما ان الابتهال المصاحب أدهشني بروعة صوته "

ابتسم رجب لسعادتها "وأنا سعيد برأيك .. هذا يعني أننا مقبولين بالفرقة المسرحية؟"

ضحكت سابين وهي تومئ برأسها ايجابا "بالتأكيد .. أنتم تستحقون ذلك"

لازالت البسمة عالقة على شفاه رجب .. بدا مترددا قبل أن يطرح عليها طلبا "كنت أرجو منك .. أن تقبلي دعوتي للغداء اليوم .. أو أي يوم تحددينه .. إن لم يكن لديك ما يمنع"

ابتسمت الفتاة باندهاش من طلبه .. بدا لها طلبا غريبا .. لكن إعجابها بالشاب لم يجعلها تتردد فى القبول أو وضعه بحرج الرفض فآثرت أن تتقدم هي بعرضٍ جديدٍ "أود ذلك بالتأكيد .. اسمع .. لنبدل دعوتك بدعوتي .. غدا ستقيم جامعة أختى رحلة إلى القلعة وأنا سأصاحبها .. لم لا تأتي معنا؟ .. أظنها فرصة جيدة لك لتستمتع بالعاصمة "

رحب رجب بالفكرة "حسنا .. سعيد بدعوتك .. سآتي بالتأكيد"
اعتذرت منه سابين للمغادرة .. لقد طال انتظار اللجنة لها لمباشرة الامتحان "حسنا يا رجب .. غدا نلتقي .. اسمح لي الآن .. الباقين بانتظار سماع رأيي بالأداء الذي قدمته وزملاؤك"
غادرت سابين ولازالت عيون رجب عالقة معها حتى اختفت خلف الباب .

obeikan.com

obeikan.com

(١٣)

كاد يختنق داخل تلك الغرفة الضيقة .. ليس إختناق تنفس إنما هو الحرمان من استنشاق الحرية .. كانت الغرفة جيدة فى الأثاث والمحتويات وتوفير احتياجاته من المأكل والمشرب ووسائل الترفيه .. ما كان ينقصه سوى الاتصال .. الاتصال بكل من يفتقدهم .. أهله .. أصدقاءه .. حبيبته.. لم يدرِ حسام ما أتى به إلى هذا المكان؟! .. ومن هؤلاء المرابطين خلف الباب؟! .. كل ما كان يتفهمه أنه حبيس تلك الغرفة .. لا مؤنسا له سوى جدرانها وتلك الجمادات المحيطة به .. اضطربت أعصابه كثيرا من شدة حيرته .. قضى الأيام السابقة فى تجول بضعة أمتار داخل الغرفة جيئةً وروحة .. تارةً يصرخ على من بالخارج لعله يحصل على مجيب .. وتارةً أخرى يصفع الباب بطرقاته حتى ينهكه التعب .. وينتهى به الحال إلى وضع رأسه تحت ماء الصنبور فى محاولة منه لاستعادة هدوئه وتركيزه .. حسام شاب في آخر أعتاب الثلاثينات من العمر .. متوسط القامة .. قوي البنية .. يكلل رأسه شعر أسود خفيف .. بشرته الفاتحة تتوارى خلف سمرةٍ خفيفة .. ملامحه

حادة تجذب الناظرين من شدة تكوينها الذكوري .. نادر الابتسامة.. دائم الجدية .. ينظر إلى القلوب بمرآة عقله .. يداعب الأفكار برقة كلماته .. ويجتذب الأرواح بمصداقيته.. لم يتذكر يوما أنه أرسى مقادير العداوة مع أحد .. على العكس .. كانت محبته تنبض فى قلوب كل من يعرفونه .. مع انقضاء كل ساعة له فى هذا المكان يزداد جنونا لمعرفة من وراء سجنه .. وكيف يخرج .. بعد محاولاته الفاشلة فى النداء على هؤلاء الخاطفين ما كان منه إلا أن يلجأ لطريقة اخرى لجذبهم إليه .. انتظر الوقت المناسب عندما سمع تهامس بالخارج ثم بدأ خطته .. أثار الغرفة رأسا على عقب .. دمر جهاز التلفزيون فى الأرض إلى جانب ما ألقاه من باقي الأثاث المتواجد .. وأخيرا سمع صوتاً يرتفع بالخارج.. "ماذا تفعل؟! .. اسمع لن نستطيع أن نفتح لك نحن ننفذ ما نتلقاه من أوامر فقط"

اشتاط حسام غضبا وأراد أن يجذب اهتمامهم إليه بصورة أكبر .. ما كان فى قرارة نفسه أن تكون اللعبة الآن من تدبيره وليس كما يريدون هم.. صرخ عليهم بغضب "حسنا .. لقد طال مكوثي هنا ولن انتظر أكثر.. معي زجاجة الماء سأفرغها وأقطع شرايين يدي .. إن كانت حياتي تهم.. الموت أهون من البقاء على هذا الحال" لم يتمهل حسام حتى كسر الزجاجة بالفعل .. مما أربك مخططات من بالخارج مع سماع انهيار الزجاج المنكسر على الأرض .. رأى حسام تحرك المفتاح بمجرى الباب فبادر بتنفيذ ما انتواه بالفعل .. حتى التقطت عيون الرجلين الواقفان

بالباب مشهد انفجار الدم من يد حسام الذي وقف بثبات لدقائق ثم سقط على الأرض .. بسرعة أجرى أحدهما مكالمة تليفونية .. أما الآخر فجذب مفرشا صغيرا ملقىً على الأرض وأحاط بها يد حسام الغارقة بالدماء .. وبعد أن انهى الآخر مكالمته لم يلبثا أن يتحركا لحمل حسام والذهاب به إلى أقرب مشفى لإنقاذ حياته ..

obeikan.com

obeikan.com

(١٤)

كانت القلعة مكتظة بالزائرين كعادتها إلا أنها بدت أكثر أناقة ورحابة.. كان الجو ملائما جدا للرحلة .. نسمات باردة خفيفة تلتطم بوجهها لتحتضنها أنفاس عميقة بداخلها وتفرغها بتشبع .. لاحظ رجب استمتاعها بالرحلة فيما عدا دقائق متقطعة تشرد فيها عن العالم المحيط بها وكأنها حالمة فى مكان آخر .. كان يراقبها بدقة .. خطواتها .. نظراتها.. حتى صمتها كان يراقبه ..

أما سمر فمنذ انطلاق الرحلة وهي لم تغلق فمها عن الكلام وتبادل الاعجاب مع حبيبها علي لكل ما تلمحه عيونهما من أحجارٍ ومبانٍ .. نقاشات مستمرة لعيون ترقب الأشياء بنظرة تختلف عن الآخرين .. كانت نظرة فنية تغلب عليهما .. حتى وصلا للساحة الكبيرة خارج مسجد محمد علي .. أخرجت سمر دفترها وقلمها الرصاص وتربعت في الأرض .. لم يلبث علي إلا أن جاورها ليتطلع لما ترسمه ويشاركها ملاحظاته .. تعجب علي مما رسمته بعد أن ظن أنها تنوي رسم المسجد من الخارج .. إلا أنه تابع خطوطها المتحركة على الورق لتبرز شابا يقف على بعد خطوات من باب المسجد بعينان تترصدان الفتاة التى خلعت

حذاءها للدخول في حالة من الشرود التام .. مخلفة ورائها من كانوا برفقتها .. وكأنها بصحبة شخص آخر .. لم يتوانى علي في إبداء تلميحاته التى استنتجها من الورق "ما باله صديق أختك؟ .. أراهن أنه يهيم بها عشقا"

توقفت سمر عن مواصلة الرسم وعيناها مرتكزة بأسى على الشاب الذي لازال يقف على حاله .. تفوهت بنبرة متعاطفة "مسكين هذا الشاب .. للأسف ليس له حظ مع أختي"

نظر إليها علي باندهاش متسائلا "ولم لا؟! .. أراه شابا لطيفاً .. وأراها لا تلحظ ما نراه نحن"

أجابت سمر تساؤله ببعض التوضيح مع متابعتها لاستكمال لوحتها " ولن تراه أبدا إن كانت ترى غيره .. لقد سعدت عندما أخبرتني بمصاحبة رجب لنا .. ظننت أن الفكرة كفيلة بأن تنسيها حزنها على حسام ولو لبعض الوقت .." لمحت سمر تساؤلا جديدا يرتسم على وجه علي .. فاستطردت بإشباع فيضان تساؤلاته بكلمات يمتطيها الحزن "حسام هو رئيسها بالعمل وبمثابة صديق لها .. إلا أنها تحبه كثيرا رغم أنه متزوج .. وما زاد ألمها اختفاؤه منذ أيام .. وجنونها من عجزها عن الوصول إليه أو التقاط أي خبر يطمئنها على سلامته .. أنا مشفقةٌ عليها .. تبدو صامدة وفي داخلها بركان من الحيرة والضعف"

لم يتفوه علي بكلمة بعد ما سمعه فقط اتجه بنظراته إلى رجب الذي تحرك أخيرا وراء سابين التى اختفت منذ دقائق داخل المسجد ..

أخذ رجب يفتش عنها بنظرات متلهفة حتى لمحها تلقي بتركيزها في التطلع للفن المعماري الذي يزين كافة أرجاء المسجد .. كان المشهد مهيباً للزائرين .. الجميع ينتابهم حالة من السكون والهمس بمجرد أن غفت أرواحهم داخل ضمة هذا المكان الذي أحاطهم .. اقترب رجب منها محاولا جذب انتباهها إليه .. لم يصدق عيناه عندما نظرت إليه وابتسمت واقتربت منه هي الأخرى بخطوات هادئة متلفظة ببعض الهمسات "أترى روعة هذا المسجد؟ .. كم أعشق تكوينه المعماري .. والسكون الذي يحتفي به " ..

ابتسم رجب بإيماءة مؤيدة لكل ما قالته .. محاولا مبادلتها الحديث بعد أن تنبهت أخيرا أن هناك من يرافقها .. ويتشوق منذ بداية الرحلة لسماع صوتها "فعلا كل شئ هنا قمة في الروعة .. لاشك أنك أتيت هنا كثيرا"

أجابت بنفس الهمس "عشرات المرات .. وفي كل مرة أشعر بأنها زيارتي الأولى .. انظر إلى الزائرين الأجانب من حولك .. ملامحهم تُعرب عن انبهارهم بما ترتشفه نظراتهم من روائع الفن الإسلامي .. أين نحن الآن من كل هذه الانجازات التى سطرها العرب في كتب التاريخ القديم والحديث؟! .. أصبحنا الآن لا نزن شيئاً في هذا العالم"

لم يرتكز رجب لمضمون حديثها بقدر ما كأن يتأملها في حديث مع نفسه "إلى متى ستظلين غافلة عني؟ .. ألم يصل لك أي شئ مما أحمله فى قلبي؟ .. حسنا .. علي أن استجمع بعض شجاعتي لاقتنص تلك الفرصة

واعرب لها عما يختلج فى داخلي "

اتجها بخطواتهما لمغادرة المسجد .. متجهان إلى الجلوس على أحد أسوار القلعة .. الآن عليه أن يتحدث بصوت مسموع "سابين.. "

استجابت لندائه بنظرة مرتقبة "نعم .. أسمعك"

تبدلت ملامحه للارتباك عندما ركزت عيناها عليه في انتظار ما يريد أن يخبرها به .. حاول تدارك ارتباكه وتفوه اخيرا قبل أن تعود لشرودها الذي حطم أعصابه منذ البداية "ليتك تسمعيني بالفعل"

تحركت عيناها باندهاش متأملة بوادره الغريبة "ما بك يا رجب؟! .. ماذا تريد أن تقول؟"

أجاب بسرعة لم يتوقعها "فقط .. أردت أن أخبرك بأني أحمل لك بعض المشاعر التى لا أعرف تفسيرا لها .. أحسبني أحبك .."

توقف عن الكلام بمجرد أن أشاحت بوجهها عنه من وطأة صدمتها .. كانت تلمح الإعجاب بعينيه ولكنها لم تتوقع ان يصل اهتمامه لدرجة الحب .. لاحت لمعة من الدموع في قلب عينيها احتبستها بضراوة .. لاحظ رجب ردة فعلها التى بدت مستنكرة لما تفوه به .. أراد أن يهون عليها الأمر ليلقى تفسيرا مناسبا لرفضها له "أسف .. لم اتوقع أن يلقى كلامي كل هذا الضيق منك .. لم أتوقع أن تتقبليه ببساطة ولكني أيضا لم اتوقع أنني كريه لحد استنكارك الشديد .. "

قاطعته سابين في محاولة منها للإعراب عن مشاعرها هي الأخرى قاطعة أي فكرة لطرق هذا الباب مجددا "أنا لا أكرهك يا رجب .. وليس الأمر

كما تتخيل أنه انتقاص منك .. كل ما في الأمر أني لا أستطيع أن أهب قلبي لرجلين .. هذا كل ما أستطيع أن أخبرك به "

كانت طعنة قوية في قلب رجب حتى لطمت الصدمة وجهه الذي انغمس في حمرته ولسانه الذي انتابه الشلل للحظات .. ثم تفوه بأسىً بالغ "حسنا .. هذه مشاعرك وأحترمها ولن أتعلق بأمال كبيرة .. لكني لن أستطيع أن أتنحى بمشاعري جانبا .. إن كنت أحبك فسأبقى هكذا لا يهمني إن كنت تتقبلين حبي أم لا ولكنه حقيقة لا يمكنك نكرانها .. ولست مجبرة على تبادلها .. ولكن .. يبقى لي قلبي ولك قلبك"

انتفض الشاب من مكانه منهيا الرحلة .. لقد اكتفى من قسوة برنامجها الحافل الذي هدم أمله في احراز أي هدف يدنيه من قلب سابين .. أما هي فلم تتفوه بأي كلمة .. ظلت ترقب خطواته الجارفة في الرحيل.. حتى انتبهت لسمر وعلي الواقفان أمامها متسائلان عن رجب "أين ذهب رجب؟!"

نهضت مقتربة منهما في صمود مفتعل "لقد غادر .. هيا بنا أنا أيضا تعبت وأحتاج لبعض النوم "

تبادلت نظرات التساؤل بين علي وسمر إلا أنهما استنبطا ما حدث وما كان منهما إلا الخنوع لرغبتها وتتبعها للمغادرة .

obeikan.com

(١٥)

طالت غيبوبته لساعاتٍ حتى استجاب لاسعافات الأطباء بالمشفى .. لم يفيق حتى صباح اليوم التالي .. كانت عيناه بين الحين والآخر تزوغ بأرجاء الغرفة متأملة المحيطين به .. حتى استعاد وعيه كاملا مصطدما بوجه يألفه جيدا .. انتفض من فراشه مستجمعا كامل عافيته التى تهاوت مع فقدان لترات عديدة من الدماء .. استطاع الرجل الجالس أمامه أن يمنعه من النهوض فى محاولة منه لتهدئة ثورته المكبلة بين أصفاد الضعف الجسدى الذي يمر به .. ما كان منه إلا أن استكان واستسلم لضعف قوته متهاويا على فراشه مرة أخرى ... التقت عينيه بنظرات تعاطف صحبتها كلمات ودودة من الرجل " هون عليك يا حسام .. استعد عافيتك أولا ثم نتحدث "

هز حسام رأسه باستنكار فى حالة من التأهب الغاضب لاستقطاب إجابات تساؤلاته طوال الأيام السابقة "أنت وراء كل ما حدث لي!! .. لماذا ؟! .. تحدث "

جلس الرجل في حالة من الهدوء الحذر المنبعث من حكمة يتوجها

شيب بعض الخصلات بشعر رأسه .. حاول طمأنة حسام بتفسير بعض النقاط التى يجهلها "لست أنا وراء كل ذلك .. مهمتي فقط أن أنفذ .. وصدقني إن أخبرتك بمعزتي وتقديري لك .. أنت شاب نبيل .. لم يخطر ببالي يوما أن يجلبنا القدر لهذا الموقف .. "

قاطعه حسام بموجة عارمة من الغضب "أظنك تسخر مني .. يا لمعزتك التى تحملها لي .. وماذا قد يكون تصرفك إن كنت تكرهني إذاً .. لا تهمني مشاعرك تجاهي .. ما يهمني أن أعرف لم فعلت ذلك معي؟ .. لم تكن بيننا يوما أية مصالح أو أي نوع من العداوات يدفعك لخطفي وحبسي بهذا الشكل .. انظر ما آل إليه الأمر .. كنت تظنني سأرضخ لهذا السجن طويلا .. فقط أخبرني لماذا؟"

كان الرجل ينصت لكلمات حسام الحادة بعيونٍ ثاقبة لا تشير لأي انفعال .. كان لديه من الحنكة ما يمكنه من كبح أية إجابات تشي بها نظراته أو إيماءاته .. ظل محتفظا بهدوءه لدرجة تُحبط أي متسللا لوعاء أفكاره .. أصر على إنكار مسئوليته عن ما حدث لحسام "ما كان الأمر سيصل بنا إلى هنا لولا تطرفك في الخروج من المأزق .. ما كان الأمر سيطول يا حسام .. كان الهدف أن تبقى عدة أيام ثم تعود من حيث جئت .. خطة بسيطة جدا بلا خسائر .. أفسدتها بسوء صنيعك لكن يمكننا تداركها الآن بعد أن استعدت عافيتك "

فهم حسام مقصد الرجل "تقصد أن الأمر لم ينتهى بعد .. وعليك أن تعيدني إلى محبسي مرة أخرى .. أليس كذلك؟"

أجاب الرجل بوضوح "بالتأكيد حتى تنتهي المهمة"

اعتدل حسام بجلسته قليلا ليستخرج عددا من المعلومات المجهولة عنه "أي مهمة يا منصور؟ .. ومن أمرك بفعل ذلك؟ .. صهري العزيز .. لماذا يريد إقصائي هنا لبعض الوقت؟"

هز منصور رأسه رافضا الفكرة التى أطلقها حسام توا "لا .. ليس صهرك.. الرجل لا يعلم شيئا عن ما يحدث"

تصدرت حسام ابتسامة يداعبها بعض الخبث "إنها حنان إذن .. ولم لا إن كنت انت هنا فهي بالتأكيد وراء ذلك .. مدللتك المتعجرفة .. لا أفهمك يا رجل .. لم تفعل أي شئ تأمرك به هذه العائلة؟"

ابتسم منصور مجيبا "ولم لا أفعل؟! .. صاحبت صهرك لسنوات عدة .. عايشته فى السراء والضراء .. في نجاحاته وخيباته .. كل فكرة راودته .. كل وجع .. كل ابتسامة .. كل مواقف عمره صاحبته فيها .. كان الرجل كريما جدا معي وعاملني كصديق لا كرب عمل .. حتى تعددت أسفاره وترك لي أمانة رعاية ابنته .. والآن علي أن أتوجها ملكة تأمر فتطاع .. إكراما لوالدها "

ضحك حسام ساخرا "إكراما لوالدها!! عليك أن تخدع شخصا آخر بهذا الهراء .. لست إلا عبدا للمال .. تغمدتك العائلة بتلال المال حتى صرت لا ترى سواها" تدافع العبوث لملامحه مع جملته الأخيرة.

لازال منصور محتفظا بذات القدر من الهدوء .. فيما عدا لحظة من الامتعاض تخللته مع نوبة من المراراة صاحبت اعترافه "أنت محقا بشأن

obeikan.com

المال الذي أحاطني به سالم .. ولكن ليس هذا فقط .. هناك من المواقف ما يجبرني على حمل الكثير من الامتنان لهذا الرجل .. اسمع يا بني لا تزعج نفسك بي .. فقط اهتم بنفسك ولا تنجرف وراء أي تصرفات غبية تزويك عن تلك المعيشة الرغدة التى تحياها .. أي شاب غيرك يحلم بالحياة التى استأثرت أنت بها .. اسمع نصيحتي ولا تضيعها.. أما عن بقاؤك هنا فهذا الأمر سينتهى خلال يومين لا أكثر وستعود لعملك وبيتك .. ويصبح كل شئ على ما يرام من جديد"

اندهش حسام من كلامه الملئ بالألغاز .. ماذا يقصد بعودة كل شئ لطبيعته إن كان هنا الآن؟! .. وما الغرض وراء حبسه؟! .. لأي شئ تدبر حنان؟! .. وماذا لو علمت عن حبه لسابين؟ .. أيكون هذا وراء ما تفعل؟! .. وإن كان هذا السبب فماذا تخطط لفعله بالفتاة فى غيابه؟.. " حاصرته الأسئلة بجنون .. عليه أن يجد حلا للتخلص من هذا السجن والعودة فورا لمصر .. لم يعد ينتابه شك بأن سابين في مأزق الآن .. عاد مرة أخرى لمحاولة جذب تفسيرات من منصور تساعده على فهم ما يحدث "اسمع .. سأنصاع لخطتك إن أخبرتني ما تنوى حنان على فعله.. فقط أخبرني لم أبعدتني عن مصر؟!"

كانت حنكة الرجل أبلغ من دهاء حسام .. قرأ فى عيني الشاب كذبه. كأنه يقنعه بما يريد حتى يحصل هو على ما يريد .. أراد أن يتجاوب معه في مجاراته له "حسنا أراك الآن ترى الأمور بتعقل .. ما علمته أن أحد منافسيك من شركات الانتاج علم بنيتك فى انتاج عمل فني وأراد

أن يتخلص منك .. وهذا ما نمى إلى علم زوجتك .. فما كان منها سوى إبعادك بمكان آمن .. ولأنها تعلم جيدا أنك لن تستجيب لهذا الحل ففكرت فى حمايتك بالقوة "

اقتضب وجه حسام من الغضب ..استجمع عافيته واستطاع هذه المرة أن ينهض للجلوس .. كانت نبرة صوته أكثر حدة وجدية مما سبق "أراك إما غافلا عن حنان أو كاذبا .. وإني لأرجح الأمر الثان .. أتظنني بهذا الغباء لأصدق أن حنان تحبني حقا .. إنها أكثر البشر أنانية على وجه الأرض .. يتملكني الاستياء لإدعائك الجهل بهذه المعلومة يا سيد منصور.. على كل حال الآن اتضح لي ما تخطط له .. فقط أخبرها إني سأقتلع رأسها إن فعلت شيئا بسابين "

صمت منصور دقيقة متأملا القوة التى اعترت حسام بلحظات كأنه لم يكد يسقط من أثر التعب منذ دقائق .. تيقن من حدة البصيرة التى يمتلكها الشاب ويتحدث عنها الجميع .. لذا ما كان منه إلا أن يصل معه لاتفاق مرضي "اسمع يا حسام .. سأتركك ترحل بسلام في سبيل أمر واحد فقط .. سأتصل بحنان وأخبرها بما حدث لك واسمح لك بمحادثتها على أن تعقد معها اتفاق تتوصلا به لحل تلك الأزمة .. فقط أخبرها أنك ستفعل أي شئ من أجلها ومن أجل الاحتفاظ بها .. ستفرح بذلك صدقني إنها كطفلة يمكنك تملكها ببعض مشاعر الطمأنينة .. أخبرها أنك ستتخلص من سابين وانها لا تهمك .. وأن كل ما كان بينكما محاولة منك لاستغلالها لتحقيق انجاز جديد لشركتك كنت ستتخلص منها فور

الانتهاء منه .. استمع جيدا لما أقول .. انت تعلم حنان مثلي وأكثر لن تتوقف عن مكائدها حتى تستمتع بالانتصار .. وخاصة إن علمت أنك أثرت عليها امرأة أخرى "

تسلل الاقتناع لعقل حسام الذي أبدى موافقته "حسنا .. أراك محقا .. اتصل بها فورا وسأفعل ما قلت"

بالفعل التقط منصور الهاتف واجرى المكالمة .. تحدث مع حنان لدقيقة لا أكثر ثم سلم الهاتف لحسام .. الذي جذبه بحركة بطيئة .. متحدثا بصوت متهالك "مرحبا حنان .. أخبرني منصور بما فعلته من أجلي .. وإن كنت أخبرتني بالأمر لما كنت اضطررت إلى إيذاء نفسي .. ألست من أجمل وأغلى النساء .. وإني لأكثر الرجال حظا أن حظيت بزوجة وفية مثلك .. اغفري لي أي تصرف أحمق .. أما عن الشركة فيمكنني أن أعيدها للدعاية فقط وابتعد عن انتاج العمل المسرحي الذي أخبرتك عنه .. كنت أسعى لتعزيز اسم الشركة وتحقيق نجاحات أكبر .. لكن إن كنت غير راضية عن هذا العمل فيمكننا التراجع عنه .." حاول حسام أن يكون مقنعا فى تمثيليته بالقدر الذي يجتذب به تعاطفها كامرأة .. غير أنه يعلم أن قلبها يختلف كثيرا عن باقي النساء .. أحيانا تكون أكثر المخلوقات شراسة عندما يتملكها الغضب ويفكر أحدهم فى انتزاع شئ من مملكتها .. وهذا أقصى ما خشاه .. تمكن حسام من جذب تعاطفها بالفعل وانصاعت لكلماته إلا أنها لمَّحت بقيادتها لزمام الأمور "حسنا يا عزيزي .. لا تنزعج كل شئ على ما يرام .. أما المسرحية فلا تضايقني

أبدا .. على العكس توليت أمرها وسأنفذها حتى النهاية .. أما منافسيك فتوليت أمرهم لن يزعجونا بعد اليوم .. ولكن لاتخاذ الحيطة عليك البقاء لبضع الوقت .. هذا آمن لك فى الوقت الحالي " حاول حسام مقاطعتها بعد أن أثارت غضبه باستفزازها .. كأنها أرادت أن تخبره بأنه لا حول له ولا قوة وأنها صاحبة المال والقرار .. واصلت حديثها دون الالتفات لمقاطعته "عندما تعود سيكون كل شئ بوضعه المناسب .. وانت أيضا ستجد المكان الذي يليق بك .. عذرا حبيبي يجب أن أنهي المكالمة الآن لدي العديد من الأعمال يجب أن انهيها .. إلى اللقاء"

لم تترك له أي مجال للنقاش .. أصبح جليا له انها عازمة على مواصلة ما بدأته وأن تمثيليته باءت بالفشل .. اعتراه التوتر الشديد .. أشد ما كان يقلقه الخطر الذي ينتظر سابين .. فقط لو كان يستطيع مهاتفتها ليطمئن عليها .. ولكنه يعلم أن منصور لن يسمح له بذلك حتى وإن أبدى له بعض المساعدة إلا انه لن يفكر أبدا بمخالفة حنان .. بُترت هواجسه مع رنين رسالة على هاتف منصور بعد أن أعاده إليه فور انتهاء المكالمة .. ارتكز بعيناه على الرجل الذي رفع هاتفه لقراءة الرسالة لثوان .. لاشك أنها من حنان .. عاجلا سيعلم فحواها من الخطوات المقبلة التى سينفذها منصور.. والتى اتضحت معالمها عندما طلب منه التأهب للمغادرة "حسام .. أراك استعدت عافيتك .. هيا بنا للمغادرة .. الشباب فى انتظارنا بالخارج فلا تحاول أن تفعل أى تصرف جنوني .. إن لم يكن من أجلك فمن أجل صديقتك"

كان تهديدا صريحا بإيذاء سابين إن لم يستجب لأوامرهم .. لم يكن هناك مفر من الانصياع لرغبات حنان فى محاولة لتجنب أى عمل جنوني منها.. وهكذا تأهب لمغادرة المكان بصحبتهم مع صليل ملاحم من الأفكار الدائرة في رأسه.

obeikan.com

(١٦)

بدا على حسام السكون والطاعة لتحركات خاطفيه أثناء تجوالهم بممرات المشفى على عكس ما خطط له فى عقله .. لعل القدر لن يمنحه فرصة أخرى للهرب .. عليه أن يقتنصها الآن بأي وسيلة وإن كلفته حياته أهون عليه من الرضوخ للهزيمة والتخاذل .. كان عقله أكثر يقظة من عيناه الحاضنة لكافة زوايا المكان .. زائغة بين خاطفيه تارة وبين المارة من المرضى والعاملين تارة أخرى .. انتبه للحظات لانحراف منصور عن خط سير الجماعة .. كان متجها للادارة .. كما بدا له انه يحاول غلق الحساب الخاص بعلاجه .. أصدر بعض الإشارات الواضحة للرجلين الآخرين بضرورة الانتباه لحسام .. في خلال تلك اللحظات انطلق صراخ عند الباب الرئيسي بظهور حالة طارئة .. التفت الأنظار إلى هناك وبدأت حالة من الفوضى مع توافد الأطباء والممرضات .. لم يمنح حسام نفسه فرصة للتردد .. استجمع قوته لدفع أحد الخاطفين ناحية الأشخاص المتسارعين .. وانطلق هو مسرعا دافعا بكل من يعترض طريقه.. استطاع أن يهرب إلى خارج المبني وخلفه الخاطفين مباشرة .. في محاولة رعناء أخرى دفع قائد السيارة المقلة للمريض القادم الآن والذي لمحه واقفا

obeikan.com

بجانب باب السيارة المفتوح .. امتطى السيارة وانطلق بها مسرعا دون الاكتراث لمن خلفه .. صرخ صاحب السيارة من أثر صدمته للموقف الذي لم يحسب حسابه تاركا مفتاح السيارة وهاتفه بداخلها .. أثناء القيادة الجنونية لحسام لمح الهاتف بالمقعد المجاور.. ابتسم ملتقطا اياه وبسرعة ادخل رقم صديقه داني للاتصال به .. وعندما أجابه أخبره أنه في حالة من الفرار من خاطفيه ومن الشرطة التى لاحقته لسرعته الجنونية .. اتفق مع داني للالتقاء عند أحد الميادين التى يعرفانها جيدا .. فحسام زائر دائم للمدينة ويعلم تفاصيلها جيدا بفضل دانيال الذي أودعه أجمل ذكريات الصداقة منذ هاجر لباريس.. ظل حسام على اصراره لاستكمال طريقه حتى النهاية كما اتفق مع صديقه إلا انه واجه بعض معوقات الطريق التى خلفت بعض الخسائر لأصحابها .. في حقيقة الأمر كان حسام سعيد بمطاردة الشرطة له لأنها تحول بينه وبين خاطفيه الذين يحاولون التخفي دون ابداء أي محاولة جنونية للاستدلال علي هوياتهم .. هو يعلم حنكة منصور فى تلك الأمور ويتأكد من قدرته على الخروج من أي مأزق دون خسائر .. اقترب حسام من المكان المتفق عليه لكنه لم يكد يصل حتى اعترضه زحام شديد .. لم يجد بدا من ترك السيارة واستكمال الطريق على قدميه .. طاردته الشرطة بنفس الطريقة ومن خلفهم منصور ورجاله .. كانت مطاردة شاقة على حسام الذى استنفذ قواه إلى غايتها .. لم يفكر فى الاستسلام خاصة انه لمح صديقه على بعد عشرات الأمتار حاولت الشرطة اطلاق النيران إلا

أنها لم تتمكن منه .. انجرف بخطواته المسرعة إلى أحد الطرق الجانبية المكتظة بأحد الأسواق للتخفي بين البشر المتسكعين بها وانتهى إلى أخر الطريق حتى استوقفه أحد الخاطفين مصوبا سلاحه فى وجهه.. توقف حسام وهو في غاية الانهاك والتعب .. أخذت أنفاسه تنتفض فى صدره بصوت مرتفع .. استجمع بعض الأنفاس ثم اندفع هاربا مع اقتراب أفراد الشرطة .. اطلق الخاطف رصاصة من سلاحه لايقاف حسام إلا أن منصور تمكن من اللحاق به مغيرا زاوية تصويبه .. صارخا فى وجهه "إياك أن تطلق عليه النار مرة أخرى .. هيا الآن إلى السيارة لنلحق به قبل الشرطة"

كان حسام على وشك السقوط لولا اعترضته سيارة صغيرة .. انتبه لصوت قائدها الذي بعث فيه الروح من جديد بعد أن اوشك على الاستسلام "هيا يا حسام .. اركب بسرعة" كان هذا داني الذي قرأ صديقه جيدا ولم يتبع المطاردة .. بل اتجه بسيارته فى انتظاره على الجهة المقابلة كما توقع أن المطاردة ستؤول عند هذا الزقاق .. ركب حسام بأقصى جهده وانطلق داني مسرعا في مطاردة جديدة لم يخطط لها .. ارتكز همه على الفرار من منصور وجماعته الذين اقتربوا كثيرا من سيارته وحاولوا قطع طريقه أعلى الكوبري .. لم يسمح لهم داني بالنجاح في ايقافه .. انصت إلى توصية صديقه المجنون بالقفز فى النهر .. وبالفعل ارتجلا من السيارة مسرعين للقفز على مرأى من منصور الذي ظل متسمرا فى مكانه باندهاش أعوانه الذين لا يعلمون سببا لمنعهم من استخدام السلاح

ببساطة للتخلص من حسام .. مع قدوم الشرطة انطلقت جماعة منصور للفرار بعيدين عن التعرض لأي مساءلة قانونية تحت غطاء بلد غريبة لن يساعدهم بها أحد .. توجهوا مباشرة للمطار للمغادرة غير مكترثين بما حل لحسام ورفيقه .. كل ما كان يشغلهم أن يصلوا لمكان آمن .. أما حسام ورفيقه فالتقطتهم الشرطة من الماء .. وباجراء التحقيق معهم أخبروا الشرطة بحقيقة ما حدث مع حسام وتعرضه للخطف.. بقيا ليومين تحت رقابة الشرطة للتأكد من صدق روايتهما واخيرا استطاعا الشابين أن يجريا التسوية المناسبة لتعويض أية أضرار تكبدها حسام خلال المطاردة .

obeikan.com

(١٧)

أوصدت باب المكتب خلفها بشدة توحي بعصبية بادية على ملامحها المحتدة .. اتجهت إلى آخر الممر المؤدي إلى بوابة الكلية .. حيث كان يجلس علي في انتظارها بصحبة بعض الزملاء .. لمح حركاتها ونظراتها الغاضبة فبادلها بنظرات التساؤل .. ما كان منها إلا أن جذبت ذراعه تقوده إلى مكان بعيد "علي .. فلتأت معي الآن لأمر هام"

اتجها بعيدا عن الحاضرين وسط نظرات فضولية تبعثرت بينهم .. عندما وصلا لمكان خال .. انفجرت سمر بنوبة من البكاء بدا لعلي أنها حبستها لبعض الوقت قبل أن تنطلق .. حاول تهدئتها لمعرفة حقيقة ما حدث.. لم يراها من قبل على هذا الحال لكنه تأكد أن هناك شئ ما حدث مع دكتور صلاح (وكيل الكلية) .. ربت على كتفيها مداعبا لها ببعض الكلمات الهزلية ليمتص غضبها "سمر!! .. هل وجدت الرجل مقتولا بمكتبه؟! .. تحدثي وإلا قتلته بنفسي .. "

لم تجبه كأنها لم تنتبه لكلماته واستمرت بنحيبها .. ناولها منديلا فالتقطته ومسحت دموعها المنهمرة .. هدأت قليلا ثم بدأت فى التحدث

"هذا الشخص حيوان بما تحمله الكلمة من معنى .. ليتني انتظرتك ولم أذهب إليه وحدي"

التقط علي كلماتها بحدقتين واسعتين تشيران إلى تسلل موجات من القلق بداخله .. تحولت ملامحه إلى الجدية والتساؤل متلهفا لسماع الحكاية "ماذا فعل؟ .. هيا انطقي ولا تختبري صبري"

تحدثت بنبرة متقطعة ومختصرة "ذهبت إليه للاستفسار عن وقت صدور نتيجة الاختبار الأخير .. أخذ يردد إجابات متلونة حتى لا يهديني إجابة صريحة تريحني .. ثم تجاهل الموضوع وانتقل بالحديث إلى إحدى زميلاتي بنفس التخصص .. تحدث عن أنها غارقة فى غرامه وتطارده وترسل إليه برسائل لا تليق بقدره كوكيل للكلية .. أخرج لي رسالة على أنها منها وطلب مني قراءتها بصوت مسموع .. بدأت بالقراءة حتى نمى إلى ناظري بعض الكلمات القبيحة فتوقفت عن تفوهها .. طلب مني استكمال القراءة فرفضت .. أخبرته أني لا أستطيع التفوه بمثل هذه الكلمات البذيئة .. وأخبرته بتشككي بالرسالة وأنه ليس من المعقول أن ترسل داليا بمثل هذا المحتوى إلى أي شخص فكيف ترسل بها إليه وهو أستاذها .. امتعض الرجل من صراحتي ثم تحدث بوقاحة على عكس ما حاول إبداءه من رقة ولين فى البداية .. غضب وتساءل ان كنت اتهمه بالكذب .. فأخبرته بأن لا شأن لي بكل هذا .. ولا يخصني إن كانت داليا تحبه أو تكتب له بمثل هذا العبث .. اشتاط غضبه أكثر حتى اجتاز حد التهديد .. هددني وزميلاتي بالرسوب فى الاختبارات القادمة .. ليس

هذا فقط .. وأن لديه تسجيلات صوتية لبعض زميلاتي يعبرن فيها عن عشقهن له .. هل تصدق هذا يا علي؟! .. لا أستطيع استيعاب كل ما سمعته من هذا الحقير" ..

بدا الارتياح يتخلل علي في ملامحه ونبرته المطمئنة "حسنا يا سمر .. حمدا لله أنك لم تعلقي بنفس الورطة التى كادها لزميلاتك .. كل ما ذكره كذب بكل تأكيد .. وإن كان ذكر تسجيلات فمن الواضح أنه استدرك الفتيات لقراءة الرسالة وتسجيل أصواتهن حتى يبدو للسامع أنها مواقف حقيقية .. ويبدو أنه هددهن بنشر تلك التسجيلات لاجبارهن على علاقات مشينة معه .. فقد سمعت عنه مثل تلك السيرة العفنة .. لكنك بوعي أحبطت مخططه الخسيس"

لم تطمئنها تلك الكلمات الأخيرة لعلي .. فلازال يعتريها الغضب والحزن "صحيح أني تجنبت مكيدته لكن هذا لا ينفي شعوري بالإهانة من تصرفه معي .. كيف صورت له نفسه أني سأتقبل هذا الأمر وأني سأنصاع لرغباته القذرة .. كيف تصورني بتلك النظرة المهينة .. هذه الفكرة تغضبني كثيرا يا علي"

امسك علي بكفيها بين يديه في حنان .. وفي محاولة منه لاستيعابها أخبرها "أتفهم شعورك يا حبيبتي .. ولكن عليكِ أن تتفهمي أن الإنسان المُعبأ بمشاعر الخبث والفجور يتخيل الآخرين مثله .. لا يهمه إن جرح مشاعرهم أو أهانهم لأنه يرى أن تصرفاته مستساغة مع البيئة التى ينتمى إليها مع المنحرفين من أمثاله .. أنت لا تغضبي ولا تنشغلي حتى

بتهديداته .. لأنني لن أتركه يمر بسلام بعد فعلته تلك"
ارتابت سمر من قوله فتساءلت بلهفة "ماذا تنوى أن تفعل؟ .. إياك أن تفكر بعملٍ أحمق يا علي"
أجابها على الفور "لا لا .. ليس كما تظنين .. فقط سألقنه درسا في الأخلاق .. لا تقلقي لن يتضرر أحد .. غدا تعرفي الأخبار .. وبالإضافة إلى ما سأفعله أنا عليكِ وباقي الزملاء الاهتمام بأمرٍ آخر "
تساءلت سمر "ما هو؟ "
أجاب علي "المعرض السنوي للكلية سيقام بعد أيام كما تعلمين .. وأفكر أن نضيف بعض اللوحات التى تفضح صلاح بصورةٍ غير مباشرة .. وأتوقع دعم الجميع من المشاركين بالمعرض للفكرة .. الجميع يكرهونه ولن يترددوا في فضح أمره أمام العميد والمسئولين عن الجامعة .. ما رأيك؟"
ارتاحت سمر للفكرة فأبدت تأييدها على الفور "أراها فكرة جيدة .. لآخذ بثأري من هذا النذل وانتقم لنفسي وزميلاتي .. ولكن بالله عليك أخبرني ماذا ستفعل أنت معه؟ "
ابتسم علي مستنكرا تساؤلها "أخبرتك لا تنشغلي بهذا الأمر .. فقط اطمئني لن يحدث لي أي ضرر .. سترين .. هيا الآن سأقلك للبيت .. يكفى ما كابدته هذا اليوم "
تحركت معه سمر بارتياح بالغ ملقية بكفها بين كفه في استجابة منها لأمره بالمغادرة.

(IN)

خلال الساعات الأولى من الليل توقف هاني بسيارته علي ناصية الشارع المقابل لمنزل دكتور صلاح .. بقى في مكانه لساعتين تقريبا حتى شاهد الدكتور يغادر منزله مرتقيا سيارته .. بسرعة اخرج هاني هاتفه لاجراء مكالمة مرتقبة من الطرف الآخر الذي تأهب فورا لمتابعة صلاح خطوة بخطوة حسب الأوصاف التى نقلها لهم هاني عن السيارة وقائدها .. كانوا أربعة رجال من المسجلين لدى الشرطة فى قضايا السطو والسرقة .. انتظروا صلاح عند أول الطريق وفور تلقيهم مكالمة هاني .. بدأوا بتتبع الهدف في حالة من التربص والتأني تنم عن احترافهم لهذه الأعمال .. أما هاني انطلق في آثرهم هو الآخر .. كانت دقائق قليلة حتى وجدوا ضالتهم عندما توقفت سيارة صلاح في أحد الأزقة لالتقاط فتاة فيما بدا لهم أنها كانت بانتظاره .. انطلق مرة أخرى وخلفه على بعد مسافة ليست بالقليلة ذات السيارة التي تحمل هؤلاء المتلصصين له منذ بداية رحلته .. ساعة أخرى كانت كافية لابتعاد صلاح عن الشوارع المكتظة بعيون المارة .. توقف هذه المرة عند سفح المقطم .. مرت العديد من

obeikan.com

الدقائق التى تمهل خلالها حمادة وجماعته قبل أن يستروا ملامحهم خلف أقنعةٍ سوداء .. انطلقوا بسيارتهم بشكل مفاجئ ليتوقفوا أمام الهدف مباشرة .. ترجلوا سريعا مخرجين اسلحتهم وانقضوا بها محطمين زجاج السيارة الأمامي لصلاح .. لم يجدوا صعوبة في مهمتهم .. فكل ما تكهنوا به قابعٌ أمامهم الآن .. التقط حمادة عددا من الصور لصلاح والفتاة في وضعٍ لا ينافي تصرفات ساقطٍ مثله .. كل هذا وسط فزع واستغاثات الفتاة وصلاح الذي ظل يرتجف في مكانه .. صرخ حمادة في أحد معاونيه "أخرج هذا الحقير من السيارة واحضره لي"

انطلقت صرخات صلاح في فزع "ماذا فعلت لكم؟! .. سأعطيكم ما تشاؤون .. فقط اتركوني "

لم يعر حمادة انتباها لاستغاثاته .. اقترب منه وجذبه بشدة ثم طرحه بقوة على الأرض .. انهال عليه بالضرب المبرح بمعاونة رفاقه حتى تسربت الدماء من كل بقعة في جسده دون أن يتفوه بأية تأوهات .. تيقن حمادة من فقدانه للوعي فتوقفوا عن ركلاتهم .. مرة أخرى التقط له صورا جديدة على وضعه الحالي ثم انتقل للعبث بسيارة الدكتور الصريع أرضا .. سطا على هاتفه وحاسوبه المحمول وبعض المبالغ التي كانت بمحفظته وأخرى كان يحتفظ بها بأحد أدراج السيارة .. انهمك حمادة في مهمته لدقائق ثم انتبه للفتاة الغارقة فى بحر من الدموع والصرخات تكتمها بين كفيها "اخرجي هاتفك أنت أيضا" استجابت له الفتاة على الفور دون أن تتفوه بأية كلمات سوى أنفاسها المحتضرة ..

تمكنت من سلب شفقة حمادة بتلك الحالة المزرية التى لا يعمى عنها الرائي .. أراد أن يطمئنها قبل أن ينهي مهمته "اسمعي .. لن يؤذيكِ أحد منا.. نحن هنا من أجل هذا الساقط وانتهينا منه .. أما انت اذهبي الآن وتنكري لأية علاقة تجمعك به .. اطبقي على كل ما جرى هنا تحت غطاء النسيان .. فإن أخبرت أحدا بما رأيت لن نتركك على قيد الحياة للحظة أخرى .."

انحرف حمادة بموجة تعليماته الحادة لأحد معاونيه "افتح لها باب السيارة لتذهب" مشيرا بيده للفتاة التي خرجت ببطء وخوف بالغ تكاد لا تحملها قدميها على الأرض .. تعلقت بنظراتها إلى حمادة الذي استمر يصب وقود تعليماته القاسية على رأسها "انطلقي إلى أعلى الطريق واستوقفي إحدى السيارات .. بإمكانك تفسير وجودك بهذا المكان بأنك كنت ترتادين أحد سيارات الأجرة لمنزلك وتعرضت للخطف من قبل السائق حتى تمكنت من الهرب .. لا تحاولي خلق أية قصصا أخرى .. وحاذري مجددا أن تخبري أحدا بالحقيقة لأننا سنعلم كيف نجدك .. هيا تحركي بسرعة"

تحركت الفتاة باستسلام تنفيذا لأوامره الصارمة كما أعرب عنه المشهد أمامها .. إنهم أشخاص جديون لحد القتل .. لا يبالون بأي شئ سوى مبتغاهم من المال الذي يحصدونه جراء أفعالهم المنحرفة .. ما هم إلا أيادٍ تتحرك بالأزمنة والأماكن والأفعال التي يضعها أصحاب المال الممددين على أسرتهم الحريرية .. في حين يتكبد هؤلاء من البائسين

إزالة القذارة التي يخلفها الأثرياء وراء رفاهيتهم العابثة.

دقائق قليلة أنجز بها العصبة دورهم ثم أسرعوا للمغادرة قبل أن يلمحهم أي شخص عابر .. انطلقوا حتى وصلوا لهاني الذي انتظرهم دهرا من القلق كما خيل له طول الترقب .. تأكد من نجاح المهمة فور حصوله على الحاسوب والهاتف الخاص بمنصور بالاضافة إلى الهاتف الذي التقط به حمادة الصور .. وبالمقابل منحه باقي المبلغ المتفق عليه.. ثم انطلق كل منهم لمسعاه .

كل ذلك الوقت كان علي بمنأى عن كل ما يجري .. تركزت جلسته طوال الليل بالمقهى الثقافي الذي يمتلكه والده .. قتل خلالها توتره بين تغريد الشعراء وبحور العازفين ممن يبعثون روح المتعة على مستمعيهم كل ليلة .. مكث عددا من الساعات منتظرا حتى لمح هاني لدى الباب .. أسرع إليه وقاده إلى مكتب والده .. تساءل على عجل "ها .. ما الأخبار؟" ابتسم هاني ملوحا بإشارة المنتصر .. ثم قدم له الحاسوب والهاتف "تفضل .. هذا حاسوبه وهاتفه كما طلبت .. أما هو فادعو له بالنجاة بعد اعصار الضرب الذي تعرض له"

التقط علي الحاسوب وألقى به بقوة في الأرض مرة بعد أخرى حتى حوله إلى قطعٍ متناثرة .. وكذا فعل مع الهاتف حتى استخرج ذاكرته الالكترونية واحرقها وسط نيران القنديل الموقد بمكتبه .. ابتسم مخاطبا صديقه " الآن لقناه درسا لن ينساه طوال حياته .. وماذا عن الصور التى سنضعها شوكة فى قلبه إن استمر بأفعاله الوقحة معنا؟"

أجاب هاني منتبها بعد أن غفل عن الهاتف الآخر الذي استخرجه من سترته وقدمه لعلي "ذكرتني به .. كنت قد غفلت عنه .. أعطيته حمادة قبل المهمة كما أوصيتني ولابد انه التقط صورا جيدة"

التقط علي الهاتف وتصفح محتوياته حتى توصل للصور الملتقطة .. انفرجت عيناه بسعادة كأنه وجد ضالته .. مما أثار فضول هاني الذي تساءل "أوجدت ما تبحث عنه؟"

أغلق علي الهاتف واحتفظ به فى درج المكتب مجيبا صديقه "بكل تأكيد.. هذا ما كنت ابحث عنه .. ورغم أنني لم أكن أتمنى مثل هذا الحل للانتقام إلا أنه الأنسب مع من مثل صلاح "

اومأ هاني برأسه تأييدا لتبرير صديقه "عندك حق .. لقد تأخر الوقت .. يجب أن أرحل الآن"

بالفعل كان الليل موشكا أن يسدل أستاره في ساعته الأخيرة عندما تطلع علي لساعة يده مقتربا ليصافح صديقه شاكرا له مساعدته "حسنا يا هاني .. أتعبتك اليوم .. لا أدري كيف أرد لك أفضالك"

نهره هاني بحركة من عينيه مستنكرا "لا عليك يا رجل .. تسعدني مساعدتك يا صديقي .. إلى اللقاء" انطلق الشاب مغادرا .. وبقي علي لاتمام بعض المهام الخاصة بالمقهي .

obeikan.com

(١٩)

جلس منصور منتظرا قرابة الساعة قبل أن تنضم إليه حنان بغرفة الجلوس .. كان الغضب باديا على لمحات وجهه الشاحب من آثر نوبة ضيق بالصدر تعرض لها منذ عودته من فرنسا .. لاقت حنان أعراض مرضه بعدم اكتراث .. بدى عليها الغضب أيضا إلا أن ملامحها لا تشي بمكنون مشاعرها سوى بخطوط باهتة تكاد أن تكون غير مرئية.. جلست بهدوئها المعتاد على المقعد المقابل ملقية بإحدى قدميها على الأخرى مرتكزة بنظراتٍ ثاقبة تخترق منصور الجالس امامها .. ساد الصمت لحظات حتى أطلقت كلماتها "حتى الآن لا أصدق ما حدث .. كيف تفشل في مهمة بسيطة كتلك ؟!"

لم يغضب منصور من استيائها .. امتص حدته ليجيبها بنفس الهدوء الذي قابلته به "حسنا .. شرحت لك ما حدث من قبل ولن أزيد شيئا سوى أن الموقف انتهى على خير .. والحمد لله .. أعلم ان حسام أذكى من أن يفتح النار على نفسه ويضعنا جميعا بورطة .. "

قاطعته بحدة لم يعهدها منها "أي خير تتحدث عنه؟! .. ألا تفهم؟! .. لقد فشلت فى مهمتك يا منصور .. دمرت كل ما خططت له بخذلانك..

وتخبرني ان كل شئ على ما يرام .. كيف وحسام الآن يتجول كما يريد ولا نعلم أين هو الآن؟! "

أراد منصور أن يفسر وجهة نظره للموقف "عزيزتي .. انت محقة قد أكون أخفقت .. ولكن هذا لصالحك .. الخطر الأكبر الذي كان بانتظارك هو أن يلحق بالشاب أذىً .. والحمد لله لم يصبه شئ .. لذا نحن بمأمن.. أما عن مخططك فعليك التخلي عن فكرة الانتقام التي تستولي على مشاعرك .. لا أفهم يا حنان لم تتكبدين عناء الانتقام إن كان بيدك أن تلقي بالشاب خارج بيتك ببساطة .. وتعيشي كما يحلو لك مع شريك جديد لحياتك .. لست مضطرة لتكبد المخاطر من أجل التخلص منه "

بدا الامتعاض على ملامحها .. لمح بنظراتها ضعف لم يكتشفه من قبل.. حاولت اخفاءه فور قيامها من مقعدها مستديرة بوجهها إلى النافذة متصدرة بظهرها تجاهه .. طرقت آذانه بصوت يكسوه الحزن والحسرة "أنت لا تفهم .. تلك النار المتقدة بداخلي .. إن فعلت ما تقول تركني حسام ليتزوج من تلك الفتاة ويهنأ معها .. هكذا بتلك البساطة .. وماذا عني؟! .. انا من منحته كل شئ .. المال والشهرة والمكانة الاجتماعية .. ألم يمر بخاطره لمرة واحدة أن ما هو عليه الآن كان سببا لمعرفته بها .. كيف به أن يتنكر لكل ما وهبته إياه .. "

التفتت بوجهها وعيناها المثقلة بالدموع المحتبسة بداخلها .. التقط منصور تلك الملامح بأسىً بالغ .. تلك الصغيرة التي كان يحملها بين يديه منذ نعومة أظافرها كأنها ابنته التي لم ينجبها .. حاول أن يخفف حدة

obeikan.com

حزنها "يا عزيزتي .. كيف يهنأ بعد أن تحرميه من كل ما منحته إياه؟!.. سيعود إلى اللاشئ إن تركته .. سيعود إليكِ نادما متوسلا لاستعادة ما حرمته منه .. انا متأكد من ذلك "

فور تفوهه بتلك الكلمات ارتطم بوجه منافٍ تماما لما كان عليه منذ لحظات من بؤس .. تبدل حزنها بإعصار من الغل والغضب .. تفجر فى أقوالها "لا يكفي أن يعود نادما .. عليه أن يتجرع قدراً أكبر من الشقاء والحرمان .. لن أتركهما يهنآن .."

ارتعد منصور مما أفصحت به حنان .. بدا موقنا من نواياها الشيطانية ورغبتها الملحة بالانتقام بشراسة من حسام وسابين .. حاول استدراج خطتها الجديدة "على أي شئ تنوين؟ "

أجابت باستنكار "سترى لاحقا "

سألها مجددا "هذا معناه أني لست ضمن خطتك هذه المرة؟!"

أجابت بابتسامة ساخرة "كيف لي أن أثق بك مجددا بعد فشلك الأخير؟.. لا تنشغل بما سأفعله .. تأكد أني سأذيقهما كأس المرارة"

أثار ردها انفعاله .. اقترب منها جاذبا يدها بعنف "لا يمكنك القيام بأعمال جنونية .. ستودين بحياتك وحياة والدك للهلاك .. لا تدعي الغضب يدفن عقلك .. أخبريني ماذا ستفعلين وأنا سأتكفل بالأمر؟"

نهرته محررة يدها من قبضته "كيف لك أن تفعل ذلك معي .. هل فقدت صوابك؟! .. لن أخبرك بأي شئ .. دورك انتهى ولم أعد بحاجة لك.. عليك أن تنصرف الآن "

obeikan.com

صمت منصور مراقبا تصرفاتها للحظات ثم أفصح عن تدبيره "اسمعي .. لقد أخبرت والدك بكل ما حدث .. ستصل طائرته غدا .. لن أسمح لك بأي عمل جنوني لإرضاء أنانيتك"

كانت ردة فعلها متحجرة كالتمثال بنظرات ثاقبة .. لم تنطق بأية كلمات.. فقط ملامح مستنكرة تبعتها خطواتها المغادرة للغرفة لإنهاء اللقاء .. وبقي منصور في تساؤلاته المشتعلة عن نيتها للانتقام .

obeikan.com

(٢٠)

انتهت من أداء الصلاة .. وجلست على المُصلية المنفردة أمامها في خشوع .. أخذت تتأمل الأرض المقابلة لها بلا حراك .. دقيقة واحدة ولم تدرك دموعها المنهمرة بغزارة كشلالات تفجرت في عينيها .. رفعت يديها بالرجاء لله المعبود .. أخذت تشكو خذلانها وخيباتها .. أبراج من الأمنيات تهدمت نصب عينيها .. ظلت تستغيث وتستغيث .. لم تعد تملك أي شئ بعد أن انسلت الأحلام من يدها خصلة وراء الأخرى .. ما كان في وسعها إلا اللجوء لمن بيده كل شئ .. كانت المرة الأولى منذ سنوات التي شعرت فيها أن روحها تنتفض .. تخشع .. تستجير .. حالة من الأنس فارقتها طويلا لتخترقها الآن .. شعرت كم حنثت بوعودها مع الله .. كم أسرتها بوارق الدنيا وزخارفها .. لأوقاتٍ طويلة تناست أنها لم تطأ الدنيا من أجل نفسها وأن هناك ما خلقت لأجله .. ضلت كالآخرين ممن تجاهلوا أن بأرواحهم قلوبا بحاجة لأن تنبض لبارئها .. تحيا بأنفاس العبودية لخالقها لتنعش وجودها .. روح تتغذى بصلواتها لتقوى وتصمد أمام طلقات الشر العاتية .. روح تتشبع بالحياة واليقين والسلام قبل أن تواجه غُرماءها .. كانت ابتهالاتها جارفة العمق .. كأن

تلك اللحظات أشعرتها بحقيقة حياتها التي عليها أن تحياها وتستمتع بها بصدق .. لم تشعر سابين بأي شئ يدور حولها خلال تلك الجلسة .. حتى سمر الواقفة خلفها لم تشعر بطرقاتها على الباب وخطواتها لداخل الغرفة .. لم تنطق سمر بأي حرف إلا أنها تسمرت بمكانها متأملة مشهد أختها الخانعة لحالة كبيرة من نوبات الاستسلام والخضوع .. انغمست في بؤرة الدهشة في حديث مع ذاتها "أختي كما أعرفها جيدا لم أرها مطلقا بهذا الضعف والنحيب .. لكم يتمزق قلبي بشهقاتها .. ليتني أقدر على إعادة روحها القديمة وابتساماتها المتمردة .. أسأل الله الذي سجدت بين يديه أن يهبها مرامها على قدر نقاء روحها الشقية .."

انقطع حديثها مع استدارة سابين ناحيتها .. لم تنتبه لنفسها إلا وقطرات تنسدل من بين عينيها لم تدركها حتى فضحتها نظرات سابين .. نهضت من جلستها بعينين مطليتين بالحمرة كجمرات الدم .. لم تعبأ سابين بحالتها الموجوعة كما شغلها وضع أختها الواقفة كالصنم أمامها.. تساءلت باندهاش " سمر .. منذ متى تقفين هكذا؟! .. ما سبب دموعك؟!"

مسحت سمر دموعها وجلست على السرير تصاحبها خطوات سابين التى جذبت مقعد مكتبها لتجلس في مواجهتها .. أجابتها سمر بابتسامة خجولة "طرقت الباب عدة مرات ولمّا لم تجيبي دخلت .. ذهلت وانقبض قلبي عندما رأيتك على هذا الحال .. لم تشعري بوجودي مطلقا رغم وقوفي خلفك لدقائق .. أما عن دموعي .. فهذا ما عليكي الإجابة عنه .. من أين لك بكل هذا الضعف والهزيمة؟! .. كأني لم أعرفك من قبل يا

أختاه .. أين صمودك الذي أضعه صوب عيني كلما جابهتني العقبات .. لطالما كنت مثلي الأعلى بالقوة والصبر.."

استوقفت سابين تساؤلات أختها عندما قبضت بأصابعها على يدها قائلة "اسمعي يا سمر .. ليس بيدي أن أخذلك .. ولكن تدافعت علي الضربات حتى قهرتني .. لم أقوى على تحمل كل هذا دفعة واحدة .. أتدرين؟! .. منذ ساعة جاءتني مكالمة من مساعدي يخبرني أن حنان استغنت عني واستعانت بمخرجٍ جديد للمسرحية .."

قاطعتها سمر بشهقة مفاجئة "ماذا؟! .. "

أردفت سابين بتعقل وسكينة " لست مندهشة من فعلتها .. توقعت غدرها منذ البداية .. كان ظهورها للانتقام .. وها هي تستمتع بانتقامها مني ولا أعلم ماذا فعلت بحسام أيضا .."

صرخت سمر ببهجة عفوية تنم عن بساطة أفكارها "كنت متأكدة أن حسام يحبك .. ألم أخبرك بذلك .."

ابتسمت سابين بسخرية اتضح معها سخافة ما تفوهت به سمر فحاولت تدارك عبارتها الأخيرة بتفسير ما يجول فى خاطرها "أعلم يا سابين أن الوقت غير مناسب لتدبر تلك الحقيقة .. ولكنها نقطة إيجابية.. إحساسي يخبرني أن كل شئ سيصير كما تأملين .. كوني واثقة في الله .. ثم عليكي ألا تستسلمي أبدا لأفعال تلك الحمقاء حنان .. أظنك لن تتركي لها مجهودك طوال تلك الأشهر هكذا؟ .."

أجابت سابين بلا تردد "بالتأكيد لا .. في المساء سأذهب لقاعة التدريب..

obeikan.com

وسأواجهها بكل أفعالها وأفضحها أمام الجميع بأنها وراء اختفاء حسام..
اتفقت مع ماهر على كل شئ وسيأتي معي لدعمي فهو أقرب صديق لحسام "
ابتسمت سمر بارتياح مندفعة بكلمات متفائلة "ألم أخبرك أن كل شئ سيكون على ما يرام .. ثقي أن تعبك لن يضيع .. سترين"
نهضت سمر متأهبة للمغادرة وهي تقبل جبهة أختها " سأتركك الآن ترتاحين وأذهب أنا لتنظيف المطبخ"
جذبت سابين ذراعها لايقافها "انتظري .. وماذا عن محاضرة اليوم .. ألن تذهبي للجامعة؟!"
حركت سمر رأسها بالنفي مع نبرة متلعثمة "لا .. لن أذهب"
أثارت إجابتها الشك لدى سابين مما أوجس بخاطرها أن هناك خلاف دائر بين أختها وعلي .. مما دفعها للتساؤل "ماذا تخفين عني يا سمر؟"
أجابت الفتاة بثقة "لا شئ .. أنا بخير .. فقط أريد أخذ قسطا من الراحة, محاضرة اليوم ليست مهمة .."
قاطعها صوت الهاتف مما دفعها للهرب من تحقيقات سابين .. أسرعت خارج الغرفة للرد بصوت هامس "علي ..اغتالني القلق .. أين كنت منذ أمس؟ .. صوتك مفعم بالسعادة .. هذا يعني ... حقا كل شئ على مايرام .. ماذا؟! .. انت هنا !! .. كيف؟! .. افتح لك الباب !! .. علي أنا لا أفهم شئ "
وضعت الهاتف على المنضدة والدهشة أوشكت أن تعتصر أنفاسها ..

تأملت سابين التي أنصتت للمكالمة منذ البداية .. ثم تفوهت لتفسير التفاصيل "لا أفهم شئ .. علي يخبرني أنه يصعد السلم ويطلب مني أن أفتح له الباب .."

كان رنين جرس الباب أسرع من أن يترك لها مجالا للتفكير أو التهيؤ لأي مشاعر أو تكهنات .. ظلت متحجرة بمكانها حتى أيقظها نداء سابين "هيا يا سمر .. افتحي الباب"

سارعت بخطواتها وفتحت الباب حتى صعقتها المفاجئة .. استجمعت أوتار صوتها لتتكلم "أبي !! "

احتضنها الرجل بقوة معبرا عن اشتياقه "اشتقت إليكِ يا صغيرتي "

اندفعت سابين هي الأخرى وارتمت بأحضان أبيها .. كان استقباله لها أكثر حفاوة .. لطالما كانت روحه وخواطره وحتى ملامحه متجسدةً بها.. هي فرحته الأولى .. وشبيهته بكل شئ .. كبرياؤه .. عناده .. حنانه .. طاقته للمسئولية .. ابنة أبيها كما يقولون .. فضحتها دموعها بين يديه .. ربت على كتفها بحنان "لم أحضر لأرى بكاءك يا ابنتي "

ابتسمت سابين وقبلت يد والدها .. أما سمر فغفلت عن الزائر الآخر على الباب مع انغماسها بفرحة رؤية والدها .. كان علي واقفا لدى الباب أثناء هذا الترحيب السخي الذي استأثر به الوالد العزيز .. ارتسمت نظرات الاندهاش على سمر .. اقتربت من علي متسائلة "كيف التقيت بوالدي؟!"

بادر الوالد بالكلام قبل صوت علي الموشك على الإجابة "لنرحب بالشاب

obeikan.com

أولا قبل وابل الأسئلة التى ستندفع منكما الآن" انتقل بحديثه للشاب "تفضل يا علي "

اتجه الجميع لغرفة الجلوس ثم انسدل الستار عن حقائق أدهشت كل الأطراف على حده .. فمن يمسك بطرف أحد الخيوط يكتشف أن الآخر يعلم الجزء المفقود من الطرف الآخر .

استهل الوالد الحديث "لم تصلني منكما أية مكالمات منذ أيام وأخبرتني والدتكما أن إجابتكما لاتصالاتها مريبة ومبعث لقلقها .. لم تريحها أصواتكما .. انتقل القلق إلي مما دفعني للقدوم .. وبالصدفة التقيت علي أسفل المنزل .. كان يعلم شكلي فبادرني بالسلام وعرفني بنفسه .. ثم جلسنا سوية بأحد المقاهي القريبة تحدثنا كثيرا .. وأخيرا جئنا إليكم على عجل"

كانت الابتسامة تتوج وجوه الجميع فيما عدا سابين كانت ابتسامتها دفينة .. كأن هما ما يحول بين الابتسامة وشفتيها .. لمح والدها حزنها وعيناها المتورمتان .. لم يفتح الحديث أو يلفت الموجودين لما استشفه.. لعله انتظر الوقت المناسب للانفراد بها لمعرفة ما يشعل حزنها ..

اتسعت ابتسامة علي مع قراءة رسالة بعثت لهاتفه الآن .. رمقته سمر بنظرة تساؤل .. فأجاب الشاب بابتهاج لتفسير ابتسامته "دكتور صلاح بالمستشفى .. وثار احتجاج الطلبة مطالبين باقالته من الكلية بعدما افتضح أمره"

صاحت سمر بفرح "حقا!! .. الحمد لله .. ولكن لماذا هو بالمستشفى ..

ماذا حدث له يا علي؟!"

أجابها بثقة المنتصر "لا شئ لقنته درسا لن ينساه طوال حياته وفضحت أمره .. لا تقلقي كل شئ بخير .. وأخبرت والدك بكافة التفاصيل ..المهم أنك سترتاحين ورفيقاتك من مضايقات هذا الخسيس للأبد "

هدأت تساؤلات سمر على عكس ما راود سابين القابعة فى مكان مجهول.. كأن الدنيا تدور بها دون أن تعي أين هي .. ثار فضولها لما يحدث فتساءلت بضيق وحدة "ألن تخبروني بما يجري؟! .. منذ دقائق لم يكن هناك شئ يا سمر عندما سألتك إن كنت تخفين شيئا .. وها أنا أصبحت آخر من يعلم بما يجري"

أومأت سمر برأسها للأرض خجلا .. بدا الارتباك في كلماتها "أنت محقة.. وأعتذر عن عدم الإفصاح .. لكني لم أرد أن أزيد همومك وقلقك .. كنت ستتركين كل ما يهمك وتصبين قلقك على هذا الموضوع .. وما كنت لاسامح نفسي إن كنت سببا لحزنك يوما .. كما أنا الآن لن أسامح نفسي أيضا إن أثرت غضبك"

اقتربت منها سمر واحتضنتها في محاولة منها لاجتذاب عطف ومودة شقيقتها "أختي .. أرجوك لا تغضبي مني"

ما كان من سابين إلا الخنوع لمشاعرها الرقيقة وقبول اعتذارها كعادتها دائما .

جلست سمر بجوار أختها محتضنة يدها بين كفيها .. استغل علي هذا المشهد الدافئ لاستقطاب رضى سابين عن ما اتفق عليه مع والدها

"سابين .. لقد تقدمت لوالدك بطلب الزواج من سمر ووافق .. وها أنا أتقدم لك الآن بطلب الموافقة على إقامة الخطبة الأسبوع المقبل .. فما رأيك؟"

تفاجئت الفتاتان لما صعق أذانهما .. ابتهجتا بسعادة كبيرة .. تطلعت نظرات سابين لموجة الفرح التي أظلت وجه أختها فأجابت علي بالقبول بلا تردد "بالتأكيد نوافق .. قدوم والدي أسعد أوقاتنا"

بادر علي بطلب آخر هذه المرة لوالد الفتاتان "ما رأيك يا عمي نذهب جميعا الآن لشراء خاتم الخطبة؟"

لم يجد الرد المباشر والمرتقب من الرجل الذي آثر الحفاظ على سعادة ابنته "العروس أمامك فلتسألها إن وافقت فلك ما تشاء"

وجه الجميع نظراتهم صوب سمر التى أبدت موافقتها على استحياء.. وعلى الفور استنهضتها سابين "هيا استعدي .. وأنا سأذهب لاعداد القهوة "

obeikan.com

(٢١)

ساعات قليلة قضتها بين سعادة ظاهرة وهم مستتر .. سعادة لفرحة أختها التى ستقام خطبتها بعد أيام .. وهم أوجاعها التى أثقلتها ولم تفصح عنها أو تبديها أمام الحاضرين .. لم تعود سابين مع والدها وأختها للمنزل .. كان عليها أن تواجه مشكلتها بمفردها بعد اتصالاتها العديدة بماهر دون إجابة .. عليها الآن أن تقطع الوقت لتحين ساعة المواجهة مع حنان .. تعلم أنها مواجهة بالغة الصعوبة خاصة أنها لم تكابد مثل هذا الموقف من قبل .. اتجهت إلى قاعة التدريب حاملةً معها أسواطا من الغضب والاندفاع .. ارتكزت عينيها على لوح الثلج الجالس أمامها بأبهى زينته .. لاقتها حنان بابتسامة ساخرة كالتي توقعت قدومها لانهاء مسرحية لم يسدل الستار عنها بعد .. اقتربت سابين من المكتب الحائل بينها وبين حنان وباقي الجالسين يتوسطهم المخرج الجديد للعمل .. لم يكن من الصعب عليها أن تتنبأ بحضوره لاستكمال ما حُجبت عنه .. وإن كان هذا الرجل أقل منها مهارة وابداع .. ولكن ليس هذا ما يهم حنان التي لا تمانع أن تلقي بملايين الجنيهات في سبيل إشباع انتقامها واقتناص لحظة انتصار واحدة تخمد النيران المتأججة فى جوفها .. لم

تشعر سابين بنفسها إلا وكفها يندفع بصفعة قوية على خد حنان .. كانت لحظة بارقة وأدت وعي الجميع ممن تصلبوا فى أماكنهم لبرهة .. تنبهوا بعدها مع انتفاضة حنان من مقعدها وصرختها المصوبة لسابين "ستدفعين ثمنا غاليا لفعلتك"

بادلتها سابين بموجة أكبر من الغضب والحنق "ماذا يمكنني أن أخسر أكثر مما حرمتني منه .. ليتك تخبري الجميع أين حسام؟ .. لم أنت هنا الآن بدلا منه؟ .. ولم ترغبين في التخلص مني؟ .. هيا انطقي"

كانت نظرات حنان خارقة لتفضح أحقادها وكراهيتها .. لم تبالي بأسئلة سابين .. إلا سؤالٍ واحدٍ أرادت طرح تفسير واضح له أمام الحاضرين "لم أقتنع بمهارتك الفنية وقدرتك على إخراج العمل منذ البداية .. وها أنا تأكدت من ذلك مع حضور تجارب الأداء وسوء اختياراتك .. هذا سببٌ كافٍ لإقصائك كما ترين"..

لم تصرف وجهة نظراتها عنها مع دعوتها لأحد العمال الواقفين باستخفاف "أنت .. اجمع زملاءك وأطردوا هذه القمامة بالخارج" كانت إشارة إصبعها موجهة لسابين .

تردد العامل في التحرك .. حتى التصقت أقدامه بالأرض دون حراك .. كان الرجل يحمل مشاعر الود والألفة لسابين الرقيقة كما يدعوها .. كان يعشق ابتسامتها وتأدبها في معاملاتها معه طوال أيام العمل في تجارب الأداء .. لم يستجب لأمر سيدته مما أثار بركان حنقها الذي فجرته به "حسنا .. انصرف الآن من أمامي ولا أراك بعد اليوم .. لعل غباءك

ينفعك في لقمة عيش أخرى"

رمقت سابين الرجل بنظرة شفقة حانية على ما تسببت له به .. لم ينطق بأى حرف قبل أن تجره خطواته للمغادرة .. انفعلت سابين على متحجرة المشاعر القائمة أمامها "أتحسبين نفسك الوحيدة على هذا الكون .. إن كنت تظنين أني سأترك لك كل شئ وأرحل بهذه البساطة فأنت مخطئة.. لن أترك تعبي لأحد وإن كنتِ صاحبة رأس المال فهذا لن يمنحك الحق لذلك .. هناك عقد أبرمته مع حسام .. هذا العقد بحوزة المحامي يمكنك الاطلاع عليه إن شئتِ .. ولتعرفي حجمك الحقيقي فأنت لا تناسبين هذا المكان .. حسام الوحيد من له حق اتخاذ القرار في شأن المسرحية .. لهذا.. عليكِ طلبه الآن للقدوم .. هذا على افتراض أنه بخير وأنك تعلمين مكانه كما تدعين .. هيا .. اطلبي حضوره لينهي هذا الأمر حالا بحضور الجميع "

بدا على الجميع الرضى عن ما طلبته سابين .. كأن لسان حالهم "أين أنت يا حسام لتخرجنا من هذا الكابوس؟"

أيد الوافد الجديد فكرة سابين هو الآخر مبديا قبوله لحنان "سيدتي .. لعل سابين محقة .. لم لا يأتي حسام ليقرر بنفسه من سيكمل العمل .. أنا أو هي .. هو من عقد الاتفاق كما أنه لازال القائم بإدارة الشركة "

لم تتمالك حنان أعصابها بعد أن أصبح الجميع في صف سابين ضدها.. ظنت أن أموالها وسلطتها كفيلة بكسب التأييد والدعم للتخلص من غريمتها ببساطة .. لكنها لم تكن تتوقع كل تلك الثقة والقوة التى

داهمتها بها سابين .. أطلقت غضبها على المخرج الجديد والذي جلبته بنفسها لدفن أي أمال جنحت بها مخيلة الفتاة البسيطة .. "أنا صاحبة العمل وصاحبة المال .. حسام ما هو إلا عامل بإدارة شركتي وأنا الوحيدة صاحبة القرار هنا .. أخبرتك أنك مسئول عن العمل منذ اليوم وانتهينا"

شعر الرجل بالارتباك .. أخذ يحملق بنظرات الواقفين يمنة ويسرة .. أفصح عن مخاوفه بتردد مؤثرا تجنب أية مشكلات "ياسيدتي .. لديك كل الحق في التصرف بمالك .. ولكن اسمحي لي أن أعتذر عن العمل حتى تنتهي المشكلة .. هذا التوتر سيؤثر سلبا على عملي لذا عليكم التوصل لحلٍ مرضٍ للجميع بهدوء لانهاء الأزمة .. وبعدها نتفق"

كان الرجل يمتلك من التعقل والفطنة ما جعله يستشف شخصية حنان المعقدة .. إنها بصدد أن تُغرق الجميع في لحظة غضب واحدة تنتابها.. ارتكزت مخاوفه على تصرفها المعادي لسابين والذي قد تنتقل تبعاته لتطيح به هو الآخر فيما بعد .. آثر الانسحاب قبل التورط في أية مواثيق.. وبالفعل انتهت مهمته بالمغادرة قبل أن تبدأ.

أما حنان التي شعرت بانسحاب الأرض من أسفلها حاولت استعادة توازنها ورد ماء وجهها بتعقل مفتعل "حسنا .. إن كان الجميع بانتظار حسام .. فلكم ما طلبتم .. سأطلب حضوره فيما بعد لتسوية الأمر .. وإن اضطررت لفض هذا العمل نهائيا سأفعل بلا تردد .."

اقتربت خطوات من سابين واختصت باقي حديثها إليها .. "أما أنت .. فأقسم لك .. لن تكوني جزءا من هذا العمل في المستقبل .. أعدك بذلك"

أتمت كلماتها وغادرت في عجالة كأنها تحرص على اللحاق بشئ ما..
شعرت سابين بارتياح كبير .. ارتسمت على وجهها ابتسامة المنتصر .. انتفضت روحها .. لا تدري لم شعرت بأن حسام على مقربة منها .. على الأقل ستضطر حنان للدفع به مجددا للظهور بعد أن تشكك الجميع في اختفائه .. لم تهتم بنجاحها في التخلص من المخرج الجديد للمسرحية بقدر ما احتدمت مشاعرها وأفكارها برؤية حسام .. كان هذا كل ما يهمها .. خرجت من القاعة مبادرة بالانصراف ثم انتبهت لرنين هاتفها .. تصفحت اسم المتصل .. كان هذا ماهر لعله اتصل ليعتذر لها عن عدم اجابته لمكالماتها وعدم حضوره .. أجابت بحماس لتخبره عن الانجاز الذي حققته منذ دقيقة "مرحبا .."
لم تكد تستقبل الرد حتى لمعت عيناها باللآلئ محتبسة .. اغتالتها الصدمة لوهلة أضاعت منها لسانها حتى شعرت كأنما سلبه أحدهم من فمها .. أخيرا التقطته لتلملم أركان الكلمة "حسام!! .. أهذا أنت؟!"
كان الرد قاطعا من الطرف الآخر ممتطيا جواد الاشتياق "نعم يا سابين.. أنا حسام .. أنا بخير .."
اصطدمت أنفاسها بشهقات البكاء تحت عباءة من عدم التصديق "حسام .. حقا .. حسام .. "
بادرها الشاب بتوكيد جديد "حسام بذاته .. اسمعي .. أنا على بعد خطوات بالسيارة منك .. انتظرى في مكانك" أغلق الهاتف وأعاده إلى ماهر الذي تولى مهمة قيادته من المطار ..

وقفت سابين تعتقلها الدهشة على طرف الشارع بانتظار حبيبها الغائب.. حلقت في ملحمة من المشاعر والأفكار .. تكاد لا تلاحق نبضاتها من سرعة جريانها .. ذابت بين أمواج الشك .. أحقا سترى حبيبها الآن؟! .. لم تبق مأسورة طويلا بين براثن روحها الكامنة .. توقفت أمامها سيارة سوداء كبيرة .. لا يقل لون زجاجها سوادا عن لون طلائها .. لم تكد تلمح من بداخلها حتى ارتجل منها شاب بسرعة دافعا بها لداخل السيارة .. باغتتها المفاجأة .. كانت تتوقع أن يخرج حسام من السيارة كما أخبرها.. لكنها فاقت على حقيقةً لا ريب فيها .. أنها مختطفة بصحبة ثلاثة رجال لا تعرفهم .. اثنان يحيطان بها والثالث يتولى القيادة .. كانت خطتها الوحيدة للنجاة بنفسها هي المقاومة .. والتشاحن معهم بأي ضربات وإن كانت لا تجدى مع قوة بنيانهم .. ما كان يقتلها حقا هو فكرة الاستسلام .. لذا وجب عليها المقاومة بأبسط الوسائل ..

كانت سيارة ماهر وشيكة بدرجة كافية ليلمح مع حسام السيارة التي التقطت سابين .. لم يصعب عليهما تفسير المشهد بأنه واقعة خطف على مرأى أعينهما .. تابعا طريقهما للحاق بتلك السيارة المندفعة بجنون .. من شارع لآخر ومن منحدر لنفق .. دقائق عديدة ولا زالا بعيدين عن إدراكها مع الأداء المتواضع لتلك السيارة القديمة التي يمتلكها ماهر حتى كادت تزول الرؤية عن المختطفين مع فجوة المسافة وحلكة الليل .. فر الخاطفين إلى خارج المدينة على أعتاب طريقٍ يحتضن مساحات شاسعة تفصل بين أسوار منازل يمتلكها أثرياء يبحثون عن خصوصية مختبئة عن

أنظار العامة .. وبقيت سابين على حالها في المقاومة حتى واتتها فكرة توقف بها اندفاع السيارة .. كانت الأسورة في يدها مثقلةً بطرف حاد.. بقيت تنازع مع المحيطين بها حتى غرست هذا الطرف برقبة السائق.. انهمرت الدماء من رقبته حتى فقد سيطرته على القيادة .. انحرفت السيارة عن الطرق لتصطدم بشجرةٍ ضخمة .. رغم دوى الاصطدام لم يظهر انسان في تلك المنطقة المنعزلة .. فقد القائد وعيه مع تناثر زجاج السيارة على أجسادهم .. كما فقدت سابين وعيها .. أسرع أحد الرجلين المجاورين لها بمغادرة السيارة والالتفاف لافاقة زميله على الطرف الآخر "منير .. انهض بسرعة .."

انتفض الرجل فزعا وغادر السيارة كزميله ثم تساءل "ماذا سنفعل الآن؟" ..

أجاب زميله وبدا عليه الحرص على استكمال المهمة المكلفين بها "سنواصل مهمتنا .. أنت لا تعلم السيدة .. هددتني بالقتل إن فشلنا .. اجذب الفتاة وأخرجها من السيارة" ..

امتعض منير لسماع ذلك منفثا عن استنكاره "لا تخبرني أننا سنحمل الفتاة حتى نصل للمنزل المطلوب"

أومأ زميله برأسه منفيا "بالتأكيد لا .. السيدة طلبت منا الاعتداء على الفتاة وتركها حية بأي مكان دون أن ينكشف أمرنا .. يمكننا أن نفعل ذلك هنا .. يبدو أن المنطقة منعزلة ولن يشعر بنا أحد .. هيا .. سننفذ المهمة ونترك الفتاة ونهرب"

اقتنع منير بالخطة مستجيبا لتعليماته .. جذب الفتاة بقوة من داخل السيارة غير منتبها لقطعة من الزجاج علقت بثوبها .. ومع الدفع اخترقت جانب جسدها الأيسر مما جعلها تصدر صيحة قوية .. سحبها مبتعدا عن السيارة وعن أضواء الطريق الخافتة .. تأهب أكثرهما حرصا لتنفيذ نيته الشنعاء مع سابين .. إلا أن منير لمح دماءا تسيل من جسدها فصاح بزميله "انتظر .. انها تنزف .. لا يمكننا أن نفعل شيئا .. انهض يارجل هيا بنا نرحل من هنا" ارتجف الرجلان برؤية الفتاة على هذه الحالة حتى تسمر أحدهما في مكانه مما دفع منير للصراخ في فزع "ستموت الفتاة .. إن أمسكوا بنا سنعدم .. لا تهمني المهمة برمتها .. سأهرب .. ستأتي معي أم تبقى ؟"

نهض الرجل وأخذ يحملق في جميع الأرجاء ليتأكد من أنه لم يتلصص عليهما أحد في الجوار .. اخترق أعينهما ضوء يتحرك من بعيد .. كانت أضواء سيارة قادمة على الطريق .. لم تدع لهما مجالا للتردد .. آثرا الهرب بسرعة قبل أن يلمح القادم هويتهما .. اقتربت السيارة أكثر حتى اتضحت ملامح راكبيها .. ارتجل منها ماهر وحسام مندفعين لاكتشاف ما أودى به التصادم .. كانت سابين ملقاة على الأرض غارقة بثوبها فى الدماء .. اعتلى الفزع ملامح حسام .. ارتمى جالسا بجانبها محاولا إفاقتها بطرقات رقيقة على وجهها "سابين .. أفيقي .. سابين!! "

حركت رأسها باستجابة مع تأوهات متبعثرة .. قبضت بيدها على يده بقوة تفصح عن حجم ألمها الكامن .. تأملها حسام بنظرات من الحنان

والأسى .. أخذ بوشاحها الملقى على الأرض وطواه ليصد به موضع الجرح.. لم تفلح وسيلته مع صرختها القوية .. غرق في بئرٍ من عدم الحيلة حتى أرشده ماهر لما عليه فعله "هيا يا حسام احملها للسيارة لنأخذها إلى أقرب مشفى"

نهض بسرعة يحملها مع صفعات من الأهات تصدر عنها لتخترق قلبه .. حملها للسيارة .. انسابت في نوبة من الإغماء ملقية برأسها على وسادة قدمه .. ظل محتضنا كفها طوال الطريق ليطمئن إلى سريان نبضها بين أوصاله .. سلمها لأقرب مشفى بالطريق .. وانتظر لساعات بصحبة ماهر يساورهما القلق قبل أن يطمئنهما الطبيب على حالتها .. أخبرهما أنها لن تفيق قبل النهار .. لذا لم يحتمل حسام المكوث لساعات أخرى من الانتظار .. عزم أمره على تصفية حساباته مع زوجته الآن قبل أن يخبر الشرطة بأفعالها الشيطانية .. استوقفه ماهر "حسام ليس هذا الوقت المناسب لما تنتويه"

لم يتراجع عن عزمه "إنه الوقت الأنسب قبل أن تبادر بالهرب .. لا تقلق.. ابقى أنت بجانب سابين حتى عودتي"

رضخ ماهر لعناده مستجيبا لطلبه .. ثم انتبه لأمر آخر كاد أن يسقط من ذاكرته .. فاستدعى انتباه حسام "ماذا عن أخت سابين؟ .. لابد أن قتلها القلق .. تخطينا منتصف الليل ولم تعود أختها"

تفهم حسام فكرة صديقه .. لكنه لم يكترث ولم ينزو عن ما عقد عليه عزمه .. فما ينتظره كان أكبر من إطفاء نيران متقدة في قلب فتاة قلقة

obeikan.com

"ماهر .. تصرف أنت بهذا الأمر .. لن تتعثر في إيجاد طريقة لطمأنتها"
ابتعدت خطوات حسام المسرعة حتى غادر .
واستدعى ماهر عددا من المكالمات للوصول إلى عنوان سمر لابلاغها بما حل بأختها الجريحة.

obeikan.com

(٢٢)

تسلل إلى غرفتها دون أن يشعر أحد بتواجده بالمنزل .. كانت تجمع حقيبتها تأهبا للسفر .. وعندما رأته أمامها أوقعت الثياب من يدها .. انتفضت في فزع .. لم تكن تتوقع صعوده لغرفتها دون انتباه حراسها الغافلين .. تسائلت باستنكار يشوبه الخوف والكبرياء "كيف دخلت إلى هنا؟! .."

أجابها بسخرية مزعمة "حراسك يتسامرون عند البوابة الأمامية وأنا دخلت من الباب الخلفي .. كما تعلمين أني أحد سكان هذا المنزل وامتلك كل مفاتيحه "

ارتجفت كما لم يراها من قبل .. بدا عليها الفزع كأنها لم تستعد لتلك اللحظة .. تعجب من حركاتها المضطربة في الغرفة .. كان يفترض أنها تتوقع قدومه بأي لحظة بعد هروبه من أسرها .. لذا أفترض انزعاجها مجرد افتعال وليس حقيقيا .. لم يتحرك من مكانه حتى اقتربت هي منه فى خنوع المتوسلة "لا تعاتب زوجة غيورة على الاحتفاظ بزوجها من مكائد امرأة أخرى"

obeikan.com

شهق ضاحكا باستهزاء مما طرق مسامعه .. اقتضبت ملامحه مسفرا عن غضبه "زوجة غيورة أم شيطانة متكبرة .. هذا الدور لا يليق بك يا حنان .. كل ما فعلته معي لا يهم .. أما ما مكرت به لسابين لن أغفره لك مطلقا"

جذب كتفيها بعنف صارعا إياها بموجات من التوبيخ مع حدة قبضاته "من أين لك بكل هذه الشرور؟! .. لا أدري أين كان عقلي عندما ارتبطت بك .. هل يستحق غرورك التخلص من فتاة بريئة لا ذنب لها سوى أني أحببتها؟!"

اتسعت عيناها بحلة من الحمرة كستها من وطأة الغضب .. طعنت كلمته الأخيرة قلبها .. فصرخت مفجرة غليانها "بيت القصيد أنك تحبها.. كرامتي أكبر من أن تنازعني فتاة كتلك على امتلاك قلبك .. ما كنت لأسمح بهذا .. وسأفعل أي شئ يحول بينك وبينها .. سأقتلها حية لتذق معها مرارة الحرمان .. كلها لحظات وأطعن روحك بالحسرة عليها.. سأَعلَق بذاكرتكما للأبد بعد ما يفعله رجالي معها .. "

نهرها بقوة دافعا بها إلى الحائط ومن ثم افترشت الأرض من شدة دفعته .. تبعها بركلة من قدمه تنم عن تحرر عاصفة من الغضب احتبست داخله لسنوات وانطلقت الآن مع اثارتها لأعصابه .. خيم الذهول وجهها .. لا تصدق تصرفاته العدوانية معها .. لطالما كان حملا وديعا تختال بثقافته ولبقاته ولا سيما وسامته بين أقرانها .. لم تشعر بحجم ما ارتكبته من فظائع معه ومع سابين .. ما انتزع عقلها كان

أكبر من ذلك .. احتوتها فكرة أن جنونه بحب تلك الفتاة أودى به لهذا المستوى من العنف .. بدت ضعيفة جدا أمام ثورته مما دفعه للتوقف.. للحظات .. أفقدته إنسانيته وتسامحه .. تاج مكارمه الذي يزينه بين الناس سقط أمام كراهيتها وغدرها .. أقنعه عقله بأنها تستحق كل هذا التعذيب إلا أن نفسه الطيبة استنكرت هذه الفكرة وقيدته .. أعرب عما في نفسه "أتدرين .. أنا أشفق عليكِ .. كل ما أطلقته عليك الآن من ضربات لا شئ جانب نفسك الخبيثة .. ما تستحقينه حقا أن أتركك لنار الكراهية والحقد المتفجران في صدرك .. إنهما كفيلان بتعذيبك"

ابتعدت خطواته إلى الباب تأهبا للمغادرة .. التفت إليها وارتكز بعيناه في عينيها ثم أخبرها عن ما يعده لها "سأغفر لك ما فعلته معي ولكن إن تركتك حرة ستؤذين سابين مجددا .. لقد اتصلت بالشرطة .. أه.. نسيت أن أخبرك .. أحد رجالك مات والآخران هربا دون أن يتموا مهمتهم القذرة التي كلفتهم بها .. مؤكد أن الشرطة تمكنت منهما الآن .. أترين لم يُفلح انتقامك .. جميعنا بخير إلا أنت .. سأتزوج من سابين .. وأنت ستواصلين حياتك بالسجن .. إنه المكان المناسب لمن يحملون أرواحا خبيثة مثلك"

غادر حسام الغرفة ظنا منه أن كلماته طعنت كبرياء حنان ودمرتها إلى الأبد وانها سترقد أسيرة دموعها وحسرتها مستسلمة لما آلت إليه المقادير .. لم يلبث يهبط درجات السلم مستكملا مسيرته لخارج المنزل إلا وداهمته طلقة نارية من خلفة فشل مطلقها في التصويب ..

قفز من الدرجات الأخيرة إلى أرض المنزل مختبأً خلف أحد المقاعد .. تمكن من رؤية مطلق النار .. إنها حنان .. كان وجهها غارقا في الدموع المختلطة بألوان المساحيق التى يلحظ لأول مرة أن أغراضها تثير قبحا لا جمالا.. طاردته بإصرار مصدرة بعض الطلقات المتتابعة .. جميعها تناثرت بعيدا عن الهدف .. اقتربت أكثر منه .. كان جنونها أكبر من أن يحاول مجابهتها بصورة مباشرة .. كان يتفادى نفسه مع كل طلقة بين المقاعد المنتشرة بغرفة الجلوس إلى أن انتهى إلى الهواء ليختبئ وراءه .. أصبح في النقطة المناسبة للتصويب .. ولم تضيع بدورها الفرصة للتخلص منه .. تقدمت مسافة أقرب لتضمن نجاح هدفها هذه المرة .. تسلل القلق إلى حسام مع كل خطوة تقترب فيها منه .. حاول اكتساب بعض الوقت في مراوغتها "تروقني فكرة إعدامك بعد قتلي .. مشهد يستحق أن تتناوله صحف الجرائم لمملكة الأثرياء .. ستكونين مادة شهية للأكل بين ألسنتهم"

أجابته بسخرية "وإن تركتك تتزوج من غيري سأكون أكثر شغفا لأنفسهم المتعطشة للسخرية والشماتة .. أقسمت إني لن أدعك لغيري بأية حال.. وسأفعل الآن"

انطلقت رصاصة مدوية .. هذه المرة أصابت الهدف بوضوح .. حتى سقط بالأرض تتنازع أنفاسه مع شهقات محتضرة .. لم تصدر الطلقة من السلاح القابع في يد حنان .. إنما صدرت إلى قلب حنان .. تقهقرت أعصاب حسام المتيبس في مكانه بذهول من هول مشهد حنان الممدة

أمامه دون حراك فيما عدا عينان تستجير .. وهلة مروعة التفت عقبها للموقع الذي انطلقت منه الرصاصة .. واغتالته دهشة أكبر عندما رأى هوية المُطلق .. استخرج اسمه من فمه كأنه يهمس في نوبة هاجس منامي "منصور!!" .. التفت مرة أخرى لحنان المتصارعة مع أنفاسها .. اقترب منها متأملا بشفقة ما ألم بها .. زاغ بعينيه لمنصور المقترب منهما .. لم يكترث به كأنه لم يراه .. أسرع إلى الهاتف المنصب على المنضدة طالبا وسيلة لإغاثة حنان .. لحظات وعاد إليها يراقب حالتها الرثة مع مشاركة القاتل الواقف بجانبه .. لم يكن وحده المتشكك بحقيقة ما حدث الآن.. كانت نظرات منصور المتصلبة على وجه حنان تؤكد هذا التشكك .. بدا على الرجل أنه لا يكاد يصدق ما ارتكبته يده .. سأله حسام بذهول "لم فعلت ذلك؟!"

خُيل لحسام أنه لم ينصت لسؤاله .. ترقب لحظات حتى حصل على رد "وعدا قطعته منذ سنوات بألا يصبك سوء طوال حياتي"

لم يتوقع حسام تلك الإجابة التي أثارت طوفان من التساؤلات جففت ظمأه "أي وعد؟! .. ولمن؟!"

لم يمهله الوقت للإجابة كانت شهقة حنان الأخيرة أسرع من كأس ارتوائه.. اقترب منها مجددا ليتيقن أنها فارقت الحياة .. تبادلت نظرات الحيرة والشك بينه وبين منصور .. وعندما تنبه إلى ضرورة الاستدلال على الحقائق المستترة عنه .. كانت أبواق الشرطة تدق الأذان بالخارج .. اندفع حسام لتوجيه منصور "ألن تهرب؟!"

أجابه الرجل باستسلام ووهن "ولم أهرب؟! .. انتهى الوقت لذلك .. لم يعد بحياتي شئ أهرب من أجله"

داهمت الشرطة المنزل مقبضين على السلاح المتدلى من قبضة منصور.. سأل المحقق عن هوية المتصل .. فأخبره حسام بأنه هو .. ثم توالت التحقيقات مع الموجودين لساعات .. حتى تبين للمحقق كافة الحقائق إلا حقيقة واحدة كان شغف حسام بكشفها أكبر من كونها أحد الأدلة القاطعة بالقضية .. "السبب الذي دفع منصور لقتل حنان" .. اعترف منصور بجريمته رافضا الكشف عن الدافع وراء ذلك .. خاب رجاء حسام في إثلاج صدره بالحقيقة التي ستؤرق ذاكرته طوال الوقت حتى يعرفها.. بين نفسه كان ممتنا لمنصور على إنقاذ حياته لكنه أيضا شعر بالحزن لما أودى به مصير حنان.

obeikan.com

(٢٣)

فاقت من غيبوبتها على عيون المحيطين المحلقة في وجهها .. غادرت عالم الوعي لساعاتٍ لم تكن تدري بأي عالمٍ كانت .. إلا أن صباحة ملامحها تحدثت عنها .. كأنها سافرت لكوكبٍ يغزوه السلام .. أخذت تسترجع إدراكها وهلة بوهلة .. حتى تنبهت لحقيقة رقودها على سريرٍ بمشفى.. زاغت عيناها في أرجاء الغرفة ثم ارتكزت على النافذة .. كانت تحاول أن تتذكر ما أودى بها إلى هنا .. لم تبالي بنداء سمر القابعة بجانبها .. انشغلت حواسها بتدارك الأحداث حتى انتفضت فجأة وتسللت منها دموع صامتة .. لم تتحمل سمر صمتها لدقائق أخرى فأعادت النداء لعل بذور الطمأنينة تثمر في قلبها المرتجف لتتأكد من استعادتها لوعيها "سابين!! .. أتسمعينني؟ .. سابين !!"

بإيماءة صغيرة للأمام من رأسها المثقل تبينت سمر بأنها تسمعها .. تفهمت مشاعرها التي تحكيها دموعها .. وتحيرت بين تلك الدموع .. أتكون وجعا من أثر الجراحة أم أنها حزنا على كل ما مرت به خلال الأيام السابقة .. لم تدري سمر بماذا يمكن أن تخفف ألمها .. كانت تربت على ذراعها بين الحين والآخر فقط لتخبرها بأنها ليست وحدها .. لم

تتفوه بأي كلمات خشية منها أن تثقل أوجاعها بأثار لن تجدي نفعا مع حالتها المضطربة .. كان هذا حال الجميع بمجرد أن فاقت سابين..
احتوى الصمت أرجاء الغرفة حتى انكسر مع رنين الهاتف الخاص بماهر.. خرج ماهر مسرعا من الغرفة لتفادى إزعاج الموجودين ، تعرف على هوية المتصل "حسام .. أقلقتني يا رجل .. ماذا جرى معك؟!"
أجاب حسام بتساؤل "لا يهم أخبرني عن سابين .. كيف حالتها؟"
صاحب رد ماهر الكثير من الارتياح "إنها بخير .. استعادة وعيها الآن.. كأنك تتصل بالوقت المناسب لكني لست متأكدا إن كانت تستطيع مكالمتك .. لم تنطق بكلمة منذ فاقت"
ابتسم حسام بارتياح ثم أخبره بما حدث "حمدا لله .. اسمع ما جرى معي .. أنا الآن بقسم الشرطة .. منصور قتل حنان واعترف بجريمته .. ومن حسن الحظ أني أتصلت بالشرطة قبل ذهابي لبيتها"
صُعق ماهر لسماع مجريات الأحداث مما أثار دهشته "ماذا ؟! ولم قتلها منصور؟"
أجابه حسام "لا أدري .. جاري التحقيق معه الآن وأنا انتظر بالخارج للشهادة "
أراد ماهر أن يكلل خبرته القانونية بمساعدة صديقه "حسنا .. أنا قادم إليك"
استنكر حسام عرضه معربا عن قلقه "لا .. لا تترك سابين وحدها"
تحدث ماهر موضحا "ليست وحدها .. اتصلت بعائلتها وهم معها

الآن.. اسمع .. لا تطيل الحديث سآتي إليك"

تفهم حسام أن سابين في أيد أمينة "حسنا .. لكن لا تخبر أحد بما جرى مع حنان .. وإن سألتك عني فأخبرها إني بخير وأن الشرطة قبضت على خاطفيها وأني أتمم شهادتي عليهم لأني من بلغت عنهم وسأتي إليها فور الانتهاء"

" حسنا يا حسام .. إلى اللقاء" أنهى ماهر المكالمة وعاد إلى غرفة سابين.. سأل الموجودين "هل تحدثت؟"

أجابه والدها "لم تنطق بكلمة سوى دموعها المستمرة"

التفت إليها ماهر واقترب إلى طرف سريرها المواجه لها ليحدثها "سابين!!" حولت نظراتها إليه بانتظار ما سيخبرها به .. شعر ماهر بالطمأنينة عندما استجابت له .. تأكد من سلامتها وإن كانت لم تستعد عافيتها بعد.. تحدث بنبرة يملؤها التفاؤل "اتصل حسام الآن .. أخبرني أن الشرطة قبضت على المجرمين الذين سعوا لخطفك .. حسام بصحبة الشرطة ليشهد على الحادثة .. يجب أن أذهب إليه الآن حتى ننتهى من تلك التحقيقات ونعود إلى هنا "

مرة أخرى لم يحصل على إجابة منها على عكس ما توقع .. استقبلت كلامه بإيماءة مؤيدة تشير إلى تفهمها وتوقفت معها دموعها عن الجريان.. استأذن ماهر للمغادرة ورحل مسرعا ..

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com

(٢٤)

وصل ماهر لقسم التحقيقات .. سأل عن حسام وعلم انه بالداخل للشهادة .. رأى منصور يعبر الممر برفقة أحد الحراس ويداه تتوسطان الأصفاد .. استوقف ماهر باندهاشة تتوسم الأخير "لن أطيل عليك فكما ترى لن يمنحوني الكثير من الوقت .. اعلم انك أقرب صديق لحسام .. انظر إلى تلك المرأة الجالسة آخر الممر .. تركت معها رسالة .. خذها واعطها لحسام وستوضح له كل ما يخفى عنه .. وأخبره أني لم أكن لأعرضه لأي مكروه طوال حياتي" كان منصور يشير برأسه إلى مكان المرأة وبعدها غادر برفقة الحارس .. انتابت الحيرة ماهر الذي تصلب فى مكانه لحظات ثم لمح المرأة تقف من مكانها مقتربة بخطواتها منه.. سألها "من تكوني؟"

أجابته "أنا خادمة منزل حنان .. أنت صديق حسام؟"

عندما أخبرها ماهر بأنه هو .. أخرجت من حقيبتها رسالة ووضعتها بين يده .. استلم منها الرسالة وشكرها .. ثم غادرت المرأة مسرعة .. نظر ماهر للرسالة وتردد في فتحهاواتخذ قراره أن يحتفظ بها حتى

يسلمها لحسام .. وضعها فى جيب سترته ثم توجه للاستئذان لرفقة حسام بالشهادة كمحامٍ عنه ..

مرت ساعة على التحقيق .. حكى خلالها حسام كل ما جرى بالتفصيل منذ أن أوصت حنان بخطفه وحتى حادثة قتلها .. كانت أقوال منصور مطابقة تماما لأقواله مما يؤيد صدق روايته .. انتهى دوره في القضية مع تلك الشهادة وغادر بصحبة ماهر يتلكأن بخطواتهما المنهكة .. ليلة شاقة لم يذوقا بها طعم النوم ونهار طويل مزدحم بالأسئلة والانتظار .. انطلقا بسيارة ماهر الذي تخوف من وجهته هذه المرة .. سأل حسام " إلى أين الوجهة؟"

استنشق بعمق مستشعرا الارتياح عندما أخبره حسام أنه يريد تبديل ملابسه والحصول على قسطٍ من الراحة قبل أن يلقى سابين .. علت وجهه الابتسامة فرحا بما سمعه "أحسنت القرار يا صديقي .. خشيت أن تنساق إلى نداء قلبك وتجرنا إلى المشفى بلا مأكل ولا مشرب ولا قدرٍ كاف من النوم يمكننا من الوقوف على أقدامنا .. حسنا .. ستكون الوجهة لمنزلي إذن .. سأتصل بزوجتي لتعد لنا بعض الطعام "

صمت حسام غير معلقا على الخطة التى أعدها رفيقه .. شرد بأفكاره المرتحلة بين الماضي وبين ما عليه فعله في المستقبل .. لاحظ ماهر شروده فجذب منه الطرف الآخر للفكرة "حسام .. هل قررت ما عليك فعله بعدما خلت حياتك من حنان"

انتبه له حسام مجيبا "بالتأكيد .. أعلم تماما ما سأفعله وهو نفسه ما

كنت سأقوم به في حياة حنان .. لا شك أن موتها أراحني كثيرا من القلق عما سيؤول إليه جنونها .. والآن ليس هناك داعٍ للقلق .. ما يوقد حيرتي أمرٌ آخر .. لازلت لا أجد دافعا لما ارتكبه منصور"

في حينها تذكر ماهر الرسالة المنسية في سترته .. استخرجها مباشرة من جيب السترة وقدمها لحسام قائلا "هذه الرسالة تركها لك منصور عندما قابلته بالقسم .. يقول أنها ستروي ظمأ تساؤلاتك"

لم يتردد حسام بفتح الرسالة فورا ليعرف الحقيقة .. لم تحمل عبارات طويلة .. كانت فقط بعض سطور قليلة ومختصرة .. :

"تزوجت منذ سنوات طويلة .. وبعد زواجي بشهرين حصلت على عمل مناسب مع والد حنان .. تركت زوجتي وسافرت معه للخارج وطال سفري.. توقفت مراسلات زوجتي كأنها لم تعد تكترث بما حل بي فأرسلت إليها بوثيقة الطلاق .. لم أكن وقتها اهتم بشئ سوى بجمع المال الوفير .. عدت بعد تلك السنوات وقابلتها صدفة وعلمت أنها تزوجت و رزقت بطفل .. وبعد سنوات طويلة أتيت أنت لادارة شركة الاعلانات التى يمتلكها رئيسي .. وتزوجت من حنان بعد أن احتواك والدها بالود والسخاء .. عندما ماتت والدتك وذهبت مع العائلة للعزاء تعرفت على صورة المرأة المعلقة على أحد الجدران بمنزل عائلتك .. وعلمت أن المرأة التي كانت زوجتي هي نفسها والدتك .. لم أخبر أحد بحقيقة الأمر حتى وصلتني دعوة من والدك للقائه قبل أن تأتيه المنية بأيام .. فذهبت إليه وأخبرني أنه لا ينجب وأنك إبني وأن والدتك لم تخبرني بالحقيقة

لتتفادى أي أموال أنفقها في رعايتك لأنها أرادت أن ينشأ ابنها في بيئة حلال وبأموال نظيفة تخلو من أي شبهة في اكتسابها.. طلب مني الرجل أن أعاهده على رعايتك ولا أخبرك بحقيقة الأمر قبل وفاته .. وها أنا صدقت بعهدي حتى النهاية .. يمكنك التأكد من الأوراق التي يحتفظ بها والدك في أدراج مكتبه ستجد بينها ما يؤكد لك أنه عقيم .. لن أخبر أحدا بما احتوته الرسالة وكذلك أطلب منك نفس الشئ.. أردتك فقط ان تعلم أني لم أتخل عنك يوما وأن تكون عملي الطيب الذي وهبني الله ليدعو لي بعد مماتي .. تمنياتي لك بحياة طيبة"

في محاولةٍ جاهدة من حسام لإخفاء مشاعره .. طوى الرسالة وأودعها في قميصه .. ظلت نظراته متشبثة بالطريق دون التفاتة أو حركة .. حالة من الذهول خيمت على ملامحه .. لاحظ ماهر انتهاءه من قراءة الرسالة دون تعليق .. انتظر حتى يخبره بما أحاطته لكن طال انتظاره دون جدوى .. فبادر بالسؤال "ألن تخبرني بما جاء بالرسالة؟!"

التفت إليه حسام باندهاش "ألم تقرأها؟!"

أجابه ماهر "قطعا لا .. إنها تخصك .. لن أسمح لنفسي بقراءتها"

شعر حسام بارتياح لجهل ماهر بحقيقة الأمر وعزم أمره على أن يلتزم الصمت كما طلب والده بالرسالة لذا كان الكذب سبيله للخلاص من المأزق "ما بالرسالة كان مخيبا لآمالي .. أراد أن يخبرني أن خلاف كبير حدث بينه وبين والد حنان وأراد الانتقام منه فقتلها بعد ما خططوا للتخلص منه"

كانت كلمات حسام غير مقنعة لماهر الذي لازال يتذكر أن منصور أخبره عن عهد ما .. وهذا مالم يذكره حسام .. تيقن أن هناك ما يريد حسام إخفاؤه .. لذا لم يلح في السؤال مرة أخرى إن كانت هذه رغبة صديقه ..

obeikan.com

obeikan.com

(٢٥)

مر يومان على مكوثها بالمشفى بعد إصرار حسام على بقائها لإتمام العلاج.. وبعد ان ظلت يوما كاملا في صمت عن الكلام حتى أخبرها حسام عن مقتل حنان فانفجرت بالصراخ والبكاء .. بعدها هدأت واستقرت حالتها النفسية .. وبادلتهم الحديث باستعادة روحها القديمة.. كانت سعيدة بإحاطة الجميع وحبهم لها .. والدها وأمها وسمر وعلي وحسام الذي لم يتركها خلال اليومين .. استلذت بدفء العائلة وعواطفهم العميقة.. لم يكن للحزن سبيلا لتخلل تلك الروح التي جمعتهم .. مع حلول الظهر غادر والداها للمنزل لنيل قسطٍ من الراحة بعد عناء مرافقتها لساعاتٍ طويلة .. وبعدها رافقت سمر علي إلي اختبار الكلية وتركت حسام بصحبة سابين .. الأمر الذي جعله يحلق في سماء السعادة .. كان هناك حديثٍ طويل يريد أن ينفرد به معها وحانت الفرصة لذلك .. كانت سابين تشعر بالراحة والأمان كلما رافقها حسام كما حالها منذ عرفته .. لطالما رافقها هذا الشعور دون أن تخدشه طرقات الشك ولو لمرة واحدة .. شعرت بتصلب جسدها مع رقودها لأيام على السرير فطلبت من حسام مساعدتها على الحركة .. طابت له

الفكرة لرغبتها في اختصار مرضها واستعادة صحتها .. عاونها في المشي حتى أجلسها على مقعد قرب النافذة .. أرادت التشبع بضوء الشمس المتخلل من الزجاج .. ظلت تحملق في أرجاء الحديقة المطلة عليها نافذة غرفتها .. أغمضت عينيها للحظات كأنها تتابع منظرا آخر يحلق في ذهنها .. كان حسام يتأملها في صمت تعلو وجهه ابتسامة تتلألأ مع أشعة الشمس التي تكلل رأسه .. جلس على المقعد المقابل لسابين مترقبا أن تخرج من تأملاتها .. فتحت عيناها ناظرةً إليه ثم كشفت عن أفكارها الكامنة "علي أن أشكر الأقدار التى دفعت بي إلى هنا"

تساءل حسام بتعجب "بعد ما عانيته؟!"

أجابت بابتسامة "نعم بعد ما عانيته .. ما كان لنا ان نصل لتلك النقطة لولا العقبات التي مررنا بها .. هكذا الحياة .. نتألم وبعد زوال نوبات الألم تصدر شهقات السعادة .. وأنا تألمت كثيرا .. وحان وقت سعادتي الكبيرة "

حمل يدها مقبلا كفها بامتنان معربا عن حبه لها "أنت تستحقين أكثر من سعادة وأكثر من أمل يا حبيبتي"

لمعت عيناها من فرط سعادتها وبلغت ابتسامتها وجنتيها "إنها المرة الأولى التي تناديني حبيبتي .. لكني شعرت بها مرارا دون أن تنطقها .. أجمل ما ألفته في حبك أنه احساس عميق أكثر من كونه كلمات تتبعثر على الشفاة فاقدة لما تحمله من معانٍ"

أومأ برأسه مؤيدا تفهمها لمشاعره تقترن كلماته بنفس المعاني "وإن

كانت الكلمات أكثر صدقا من الأفعال لأطلقت عليكِ وابلا من المجلدات .. لكنها بالنهاية تبقى مجرد كلمات"

أحنت عينيها خجلا مع حمرة وجهها .. ابتسم من براءة تصرفها .. رغم جرأتها مع مجابهة الحياة لازالت تخجلها كلمات الحب .. أطلق العنان لاعترافاته "كثيرا ما أذهلني إصرارك على التحدي والسعي وراء النجاح بمثابرة .. و تؤثرني فكرة انتقالك من مدينة صغيرة لتعيشي وحدك في زحام المدينة الكبيرة من أجل أهدافك .. كان يمكنك القناعة بحياتك البسيطة دون مشاكل وسط عائلتك الهادئة .. تحصلين على عمل بسيط وتنتظرين زوج المستقبل كغيرك من الفتيات"

حركت رأسها رفضا مستنكرة للفكرة " لم أفكر يوما بتلك الحياة .. حياة قائمة على التنفس أكثر من كونها معنىً كبيرا أسعى ورائه .. ما حلمت به أكثر من مجرد حياة .. أكثر من أيام عادية يملؤها أشخاص عاديون .. يتناحرون على لقمة العيش في الصباح ويرقدون على أسرتهم ليلا للنوم .. يولدون غرباء ويموتون في صمت .. مخلفين ورائهم بعض المال ليتصارع أبنائهم في إنفاقه .. لم يتركوا ورائهم أثرا أو معنىً نبيلا أو حتى فكرة يهتدى بها من خلفهم .. كان طموحي أكبر من الاستسلام لزواجٍ تقليديٍ هدفه الستر أكثر من كونه بنيانا مقدسا تقوم عليه حياة تفجر مجتمعا صالحا عامرا بالأحلام .. حلمت بأسرة تستظل تحت عباءة الدفء والحب .. يسعى كل أفرادها وراء رسالتهم دون خوف أو تردد .. ما حلمت به عالم سعيد بمعناه الحقيقي .. لا أستطيع أن أقنع بأنصاف

الأشياء إن كان بإمكاني احترازها كاملةً .. بحثت عن حلمٍ كبير فسعيت لفكرة المسرحية .. وبحثت عن حبٍ كبير فوجدتك .. السعادة تستحق العناء .. والتعب أثمر النجاح .. وها أنا الآن بين يدي الحب والحلم"

كانت نظرات حسام أكثر عمقا من حديثها .. لازال يتأملها بشغف كأنه ينتظر منها المزيد كل ساعة .. يراها امرأةً متقدة بالأمل والإرادة .. بادلته سابين بنظرة متسائلة "ما بك لا تتحدث؟!"

انتبه لصوتها بعد سلب عقله في التجول بكونها وأجاب "أخذتني فكرة وعليكِ تلبيتها دون تفكير"

تساءلت "ما هي؟"

أجابها "لن تغادري هذا المشفى قبل أن تحملي اسمي .. لقد عزمت أمري.. الجميع ذهبوا لتحضير كل شئ وسيصلون بعد قليل بصحبة المأذون "

شهقت ضاحكة من هول الفرحة .. لا تصدق آذانها ما تسمع .. هبت واقفة من مقعدها ووقف حسام ممسكا بيديها لمساعدتها .. تساءلت بذهول " كيف؟! .. لست مستعدة للزواج .. هل سأتزوج بلباس المشفى وبهذا الشكل الرث ؟!"

ابتسم حسام قائلا "لا يهمني .. أقسمت أنك ستغادرين هذا المكان إلى بيتي"

تعلقت بذراعيها حول عنقه .. احتضنها برقة .. لم تدرك دموعها من فرط سعادتها .. لحظاتٌ حلقت فيها بين ذراعيه لا تكاد تصدق واقعها .. كأنها

obeikan.com

امتلكت سكون هذا العالم بأكمله خلال تلك الثوان .. انتابها إحساس بالسلام تشعر به للمرة الأولى ذابت بداخله حتى تنبهت لطرقات الباب .. دخلت سمر حاملة بعض الحقائب .. ابتسمت بخجل عند رؤيتهما يتحللن من العناق .. وضعت الحقائب في يدها واقتربت من اختها بصحبة ابتسامة عريضة احتضنت سابين بحفاوة بالغة "سعادتي اليوم لأجلك فاقت سعادتي بموعد خطبتي .. أخيرا يا سابين هدأت روحك .. هيا .. أحضرت لك ثوب الزواج .. لنستعد الآن "

جذبت يدها برفق إلى دورة المياه لتبديل ثيابها .. توالت الطرقات على الباب ووصل الجميع وبحوذة كلٌ منهم ما غادر لإعداده .. أعدوا الغرفة للاحتفال حتى دخلت العروس بزينتها فور انتهائهم .. عقد كتاب الزواج وسط زغاريد الحاضرين وفرحة العائلة .. وفي نهاية الاحتفال غادرت سابين المشفى مع زوجها إلى بيتها الجديد بعد أن حققت أغلى أمنياتها مع من تحب .. وعلى تأهبٍ لاستكمال بقية أحلامها بمساعٍ جديدة.

تمت

obeikan.com

obeikan.com

obeikan.com